مِن بَلاغَةِ الطِّباق في سُورةِ الرَّعد

دراسة تفسيريَّة تحليليَّة

إعداد الدكتور

فتحي سباق أبو سمرة عابد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة

جامعة الأزهر

من بلاغة الطِّباق في سورة الرَّعد: دراسة تفسيرية تحليلية

فتحي سباق أبو سمرة عابد

قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر- مصر

البريد الإلكتروني: Fathiabed557.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الآيات التي اشتملت على أسلوب الطباق في سورة الرعد دراسة تفسيرية تحليلية؛ لاستجلاء لطائفها، واستخراج فوائدها، واستجلاء ما يكمُن فيها من صورٍ بلاغية تزخر بها تلك المطابقات.

وقد جاء البحث- بعد المقدمة- في مبحثين: الأول، وفيه: تعريف الطباق، وذِكْر أقسامه، والفرق بينه وبين المقابلة. والثاني، وقد اشتمل على الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في سورة الرعد. وقد خلصتُ من هذا البحث إلى عدة نتائج، أبرزها: تميُّز سورة الرَّعد بهذا الأسلوب البياني البديع تميُّزًا واضحًا؛ حيث بلغت الآيات المشتملة على الطباق إحدى وعشرين آية؛ أي: قرابة نصف السورة؛ إذ إن عدد آيات سورة الرعد- على العدِّ الكوفي- (٤٣) آية، ومن خلال الدراسة تبيَّن أن الطباق القرآني معجز في اختيار لفظه، وقد وَرَد ملائمًا مع السياق الوارد فيه.

الكلمات المفتاحية: الطباق، سورة الرعد، المُحسِّنات المعنوية، بلاغة.

From the Rhetoric of Counterpoint in *The Chapter of Thunder* An Analytical Interpretive Study

By: Fathi Sebaq Abu Samra Abed
Subdivision of Interpretation and Qur'an Sciences
Department of Osoul Al- Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

This research aims at examining the verses that include the technique of counterpoint in the Chapter of Thunder as an analytical and interpretive study to find out about its subtleties, benefits and demonstrate the implied rhetorical imagery by which those counterpoints are imbued with. The present research includes an introduction, two research investigations and a conclusion. The first research investigation defines the technique of counterpoint, traces its divisions, and highlights the difference between counterpoint and opposition. The second research investigation contains the analytical study of the technique of counterpoint in the Chapter of Thunder. The research concludes with several findings. One of the most important findings is that the Chapter of Thunder is tacitly characterized with such exquisite rhetorical technique since the number of the verses that contain the technique of counterpoint mounted to twenty- one verses which constitute around half the chapter as the number of verses within the whole chapter is forty- three. In addition, the research has shown that the Qur'anic counterpoint is miraculous in terms of selecting the words and their compatibility with the context where they are stated.

Key words: The Chapter of Thunder, moral enhancers, rhetoric.

.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم نهرٌ مِدرار، وبحرٌ زخَّار، وإنَّ من النعيم المُعجَّل للمؤمن في الدنيا أن تكون مطامحُ نظرِهِ الأساليب التي تضمَّنت لطائفَ نُكَتِه المكنونة، واشتملت على أسرارِ وأغوار مبانيه المنظومة ومعانيه المصونة، وكشفت القناعَ عن وجهٍ من وجوه إعجازه الميمونة؛ ذلك أنه الكتاب المعجز الذي أودعه الله الدلائلَ على صـــدقه، والبراهين على عظمته وأنه من عنده، قال تـعـالـى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[١]. وقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٢].

وكنتُ قد وقفتُ على بحثٍ لشـيخي الأسـتاذ الدكتور/ أحمد محمد الشـرقاوي- حفظه الله- بعنوان: "أسـلوب المقابلة في سـورة الرعد دراسـة تحليلية"[٣]، وأثناء بحثي وتدبُّري لَفَتَ نظري ما ضـمَّنه الله السـورة الكريمة من مطابقاتٍ لا تقلّ شـيئًا في إظهار روعة القرآن، وسـرِّ فصاحته وبلاغته عن مسائل إعجازه في نَظْم المقابلة، بل لاحظتُ أن أسلوب الطِّباق شاع في نَظْم سـورة الرعد شـيوعًا لافتًا للنظر، أضـف إلى ذلك: أن القرآن الكريم أورده- الطباق- دليلًا

(١) سورة النساء، آية: ٨٢.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٣) منشور بمجلة "تدبُّر"، العدد السادس، السنة الثالثة رجب ١٤٤٠هـ الموافق مارس ٢٠١٩م.

وبرهانًا على أخطر قضية؛ وهي: قضية إقامة الأدلة على وجود الله ووحدانيته، وعظيم قدرته ﷻ؛ فلذلك جاء الكلام متلائمًا، متناسبًا مع الغرض الذي سيق من أجله، متَّسقًا منسجمًا بحيث تتآخَى وتترابط كافة أجزائه، وتأخذ أعناقُ بعضه بأعناق بعض.

ولا غرو في ذلك؛ "فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأنٍ يتناوله من شئون القول يتخيَّر له أشرفَ المواد، وأمسَّها رحمًا بالمعنى المُراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كلَّ مثقال ذرةٍ في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنَى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يومًا أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكانُ يريد بسَاكِنِه بَدلًا، ولا السَّاكنُ يبغي عن منزله حِوَلًا، وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان"(١).

ومن ثَمَّ؛ جاء هذا البحث لينال رشفةً من بحر البيان الإلهي في التعبير بأسلوب الطباق في سورة الرعد، مُبرِزًا جمال أسلوب القرآن، وجلال وكمال ما حَوَاه من لطائف وطرائف.

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى ما يأتي:

١- أهمية دراسة أساليب القرآن والوقوف على بلاغته، وإبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني.

٢- كثرة سُور القرآن الكريم التي حَفِلت بأسلوب الطباق، بما يستلزم تدبُّر هذه المواضع، والتعمق في فهم معانيها ومقاصدها، والوقوف على لآلئ لطائفها، ودقائق أساليبها، وجمع فوائدها من بطون كتب التفسير.

٣- اختصاص القرآن الكريم من بين سائر الكتب السماوية بصفة البلاغة، وإعجازه- على المختار- راجعٌ إلى بيانه، وبلاغته وفصاحته، وأسلوبه ونَظْمه؛ ومن ثمَّ فالحاجة ماسَّة في هذا

(١) النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، صـ١٢١.

العصر الذي يتَّسِم بالطعن في الثوابت الشرعية المُحكَمة إلى جلاء تلك المعجزة، وتقريبها إلى الأفهام.

٤- حاجة المكتبة التفسيرية لمزيد من البحوث والدراسات في البلاغة القرآنية، تأصيلًا وتطبيقًا.

أهداف البحث:

١- دراسة الآيات التي اشتملت على أسلوب الطباق في سورة الرعد دراسة تفسيرية تحليلية؛ لاستجلاء لطائفها، واستخراج فوائدها.

٢- استجلاء ما يكمُن في المطابقات القرآنية التي احتوتها سورة الرعد من صورٍ بلاغية تزخر بها تلك المطابقات.

٣- إبراز وجهٍ من وجوه إعجاز القرآن، يتمثل في بلاغة أساليبه، وجمال عباراته، وتناسب ألفاظه، وثراء معانيه.

وأما عن خطة البحث فقد جاءت- بعد المقدمة- في مبحثين، وخاتمة، وفهارس. وبيانها كالآتي:

المبحث الأول: تعريف الطباق، وذِكْر أقسامه، والفرق بينه وبين المقابلة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الطباق.

المطلب الثاني: الفرق بين الطباق والمقابلة.

المطلب الثالث: أقسام الطباق.

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في سورة الرعد. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة الرعد.

المطلب الثاني: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في النصف الأول من سورة الرعد.

المطلب الثالث: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في النصف الثاني من سورة الرعد.

الخاتمة، وتشتمل على: أهم نتائج البحث ومقترحاته.

ثم قائمة المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

منهج البحث:

أما عن المنهج العام للبحث: فقد اعتمدتُّ المنهج التحليلي، القائم على جمع الآيات التي اشتملت على أسلوب الطباق، وتدبُّرها، وتتبُّع أقوال المفسرين، والوقوف على النِّكات البلاغية، واستخلاص النتائج.

وأما عن إجراءات البحث: فقد تتبَّعتُ الآيات المشتملة على المطابقات وفق ورودها في السورة الكريمة، وحاولت تدبُّرها، ناظرًا في معانيها وسياقاتها، ورجعتُ لكتب التفسير على تنوُّع اتجاهاتها، وأفدتُّ منها، وحاولتُ قدر الإمكان- مُستبصرًا بتراث الأسلاف من أهل الفن- بيانَ مباحث البلاغة في موضع الطباق في الآية.

سائلًا الله ﷻ أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن يُحبِّب إلينا تدبُّر القرآن، والعمل بما فيه، وأن يحشرنا في زمرة وارثيه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونِعْم الوكيل، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعريف الطباق، وذكر أقسامه، والفرق بينه وبين المقابلة

المطلب الأول: تعريف الطباق.

أولاً: الطباق لغة:

أصل المطابقة في اللغة: الموافقَةُ. والتَطَابُقُ: الاتّفاقُ. وطابَقْتُ بين الشيئين، إذا جعلتهما على حَذْوٍ واحد[١]. قال ابن منظور: "وَقَدْ طابَقَهُ مطابَقةً وطِباقًا. وتَطابَقَ الشيئَان: تساوَيا. والمُطابَقةُ: المُوافَقة. والتَّطابُق: الِاتِّفَاقُ. وطابَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذا جَعَلْتَهُمَا عَلَى حَذْو وَاحِدٍ وأَلزقتهما"[٢].

ثانيًا: الطباق اصطلاحًا:

عرَّف الخطيب القزويني الطباق بأنه: "الجمع بين المتضادين؛ أي: معنَيَيْن متقابليْن في الجملة"[٣].

المطلب الثاني: الفرق بينه وبين المقابلة.

أولاً: تعريف المقابلة لغة واصطلاحًا:

١- المقابلة لغة:

مصدر على وزن مُفَاعَلَةٍ، وذكر صاحب "لسان العرب" أن معنى المُقابَلَة: المُواجهة، والتَّقَابُل مِثْلُهُ. وَهُوَ قِبَالُك وقُبَالَتُك أَي تُجاهك، وقَابَل الشيء بالشيء مُقابَلة وقِبالاً: عارضه، ومُقابَلة الكتاب بالكتاب وقِبالُه به: مُعارَضته[٤].

(١) الصحاح: الجوهري، مادة (طَ بَ قَ).

(٢) لسان العرب: مادة (طَ بَ قَ).

(٣) الإيضاح: الخطيب القزويني، صـ٣١٧.

(٤) ابن منظور: مادة (قَ بَ لَ).

٢- **المقابلة اصطلاحًا:**

عرَّفها السكاكي بقوله: "أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضدَّيهما، ثم إذا شرطت هنا شرطًا شرطتَّ هناك ضده"(١).

وعرَّفها الزركشي فقال: "وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ مَعَ مَا يُوَازِيهِ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ وَيُخَالِفُهُ فِي بَعْضِهَا"(٢).

وعرَّفها صاحب "جواهر البلاغة" بأنها: "أن يُؤتَى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يُؤتَى بما يقابل ذلك على الترتيب"(٣).

ثانيًا: الفرق بين الطباق والمقابلة

يُعَدُّ الطباق من المحسنات البديعية المعنوية، وقد اختلف العلماء في التفريق بينه وبين المقابلة، فمنهم من عدَّ المقابلة نوعًا من الطباق كالخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ)؛ إذ يقول: "ودخل في المطابقة ما يُخَصّ باسم المقابلة، وهو أن يُؤتَى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركب المقابلة من طباق ومُلحقٍ به"(٤).

وذهب بعضهم إلى أن المقابلة أعم من الطباق كابن حِجَّة الحَمَويّ (ت:٨٣٧هـ) الذي يقول: "المقابلة أدخلَهَا جماعة في المطابقة، وهو غير صحيح؛ فإن المقابلة أعم من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق، فبقولنا: "وما يوافق"، صارت

(١) مفتاح العلوم، ١/ ٤٢٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٣/ ٤٥٨.

(٣) الهاشمي، ١/ ٣٠٤.

(٤) الإيضاح: الخطيب القزويني، صـ٣٢٢.

المقابلة أعم من المطابقة، فإن التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة"[١].

وفرَّق ابن أبي الإصبع (ت:٦٥٤هـ) بين الطباق والمقابلة بعد أن سمَّاها "صحة المقابلات" فقال: "والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين: **أحدهما**: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدَّين فذَّيْن[٢]، والمقابلة تكون غالبًا بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجُزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز. **والثاني**: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد."[٣].

ونحو ذلك ما ذكره الزَّركشيُّ مُفرِّقًا بين الطباق والمقابلة بقوله: "وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الطِّبَاقَ لايكون إِلَّا بَيْنَ الضِّدَّيْنِ غَالِبًا، وَالْمُقَابَلَةَ تَكُونُ لِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا. وَالثَّانِي: لَا يَكُونُ الطِّبَاقُ إِلَّا بِالْأَضْدَادِ وَالْمُقَابَلَةُ بِالْأَضْدَادِ وَغَيْرِهَا"[٤].

وقد سرتُ في البحث على هذا التفريق بين الطباق والمقابلة كما ذهب ابن أبي الإصبع المصري، والزركشي، وغيرهما.

(١) خزانة الأدب، ١/ ١٢٩.

(٢) أي: منفردَيْن.

(٣) تحرير التحبير، صـ١٧٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ٣/ ٤٥٨.

المطلب الثالث: أقسام الطباق.

الطباق قسمان: حقيقي، ومجازي، وكلٌّ منهما إما طباق إيجابٍ، أو طباق سَلْب، وإما لفظي، أو معنوي (ظاهر أو خفي)[١]، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: أقسام الطباق باعتبار طَرَفَيْه. وينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

١- **الطباق الحقيقي**، وهو: ما كان طرفاه بألفاظ الحقيقة، سواء أكان بين اسميْن، أو فعليْن، أو حرفيْن، أو مختلفيْن[٢].

٢- **الطباق المجازي**، وهو: ما كان طرفاه غير حقيقيْن- أي مستعملان في المجاز- ومن أمثلته: الطباق بين "الموت"، و "الإحياء" في قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[٣]؛ أي: ضالًا فهديناه، فأتى الطباق على طريقة المجاز لا الحقيقة؛ حيث طُوبِق بين "الضلالة" و "الهُدَى"، وهما حقيقتا اللفظين متضادان أيضًا، واستعارة الحياة للهداية في الآية الكريمة جعلت الطباق يقوم بوظيفته السامية في إظهار البون الشاسع بين الحياة والموت، والضلال والهداية[٤].

ثانيًا: أقسام الطباق باعتبار الإيجاب والسلب. وقد قسَّمه البلاغيون بهذا الاعتبار إلى قسمين:

١- **طباق الإيجاب**، وهو: ما لم يختلف فيه الضدَّان إيجابًا وسلبًا، ويكون طرفاه اسمين، أو

---

(١) ينظر: تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع، صـ١١١. أنوار الربيع: ابن معصوم، صـ٩٠. الإعجاز في نظم الصورة البديعية: حجاج محمد عطية، صـ٢٩.

(٢) ينظر: أنوار الربيع: ابن معصوم، صـ٩٠. البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، صـ٢٦.

(٣) سورة الأنعام، من آية: ١٢٢.

(٤) ينظر: أنوار الربيع: ابن معصوم، صـ٩٠. الإعجاز في نظم الصورة البديعية: حجاج محمد عطية، صـ٥٧. البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، صـ٢٧.

فعلين، أو حرفين، أو مختلفيْن[١].

٢- **طباق السَّلب**، وعرَّفه أبو هلال العسكري فقال: "وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة، وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به في جهة، والنهي عنه في جهة وما يجرى مجرى ذلك"[٢].

ومما ألحقه البلاغيون بالطباق ما يُسمَّى بالطباق الخفيّ، "وهو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلُّق مثل: السببية واللزوم، كقوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٣]؛ فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة، لكنها مُسبّبة عن اللين الذي هو ضد الشدة، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[٤]؛ فإن ابتغاء الفضل وإن لم يكن مقابلًا للسكون، لكنه يستلزم الحركة المضادة للسكون..."[٥].

(١) ينظر: جواهر البلاغة: الهاشمي،١/ ٣٠٣. البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، صـ٢٦.

(٢) الصناعتين، صـ٤٠٥.

(٣) سورة الفتح، من آية: ٢٩.

(٤) سورة القصص، من آية: ٧٣.

(٥) أنوار الربيع: ابن معصوم، صـ٩١.

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في سورة الرعد

المطلب الأول: التعريف بسورة الرَّعد.

أولاً: اسم السورة: سُمِّيت هذه السورة بسورة "الرَّعد"؛ لورود التصريح بذِكْر الرَّعد في الآية الثالثة عشرة منها؛ حيث قال ﷻ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ... ﴾[1]، وسُمِّيت بهذا الاسم منذ عهد النبي ﷺ، ولم يُعرَف لها اسمٌ سوى هذا الاسم.

يقول الطاهر ابن عاشور: "سُورَةُ الرَّعْدِ، هَكَذَا سُمِّيَتْ مِنْ عَهْدِ السَّلَفِ. وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُسَمَّاةٌ بِذَلِكَ مِنْ عَهْدِ النَّبِيءِ ﷺ؛ إِذْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي اسْمِهَا"[2].

ثانيًا: زمان النزول:

تعدَّدت آراء المُفسِّرين في مكيَّة السورة ومدنيَّتها على أقوال كثيرة، فهناك روايات صرَّحت بالجزم بأنها كلها مكيَّة، وأخرى صرَّحت بأنها كلها مدنيَّة، وثالثة بأنها مكية إلا آيات منها فمدنية، ورابعة بأنها مدنيَّة إلا آيات منها فمكيَّة، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "اختلفوا في نزولها على قولين؛ **أحدهما**: أنها مكيَّة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وقتادة. وَروَى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكيَّة إلا آيتين منها، قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾ [3] إلى آخر الآية، وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗا ﴾[4]. **والثاني**: أنها مدنيّة، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد. ورُوِي عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ

(١) من آية: ١٣.

(٢) التحرير والتنوير، ١٣/ ٧٥.

(٣) من آية: ٣١.

(٤) من آية: ٤٣.

﴿ٱلْجِبَالُ﴾[١] إلى آخرها، وقال بعضهم: المدني منها قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾[٢] إلى قوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[٣][٤]".

والظاهر - والله أعلم- أن الراجح من أقوال العلماء أن سورة " الرعد " مكيةٌ بأكملها؛ وذلك للأمور التالية:

١- الطرق التي ورد فيها القول بمكيَّة السورة عن الصحابة والتابعين، أصح من الطرق التي ورد فيها القول بمدنيَّتها؛ فقد أَخرَج النحاس في "الناسخ والمنسوخ" بإسناده عن ابن عباس ﷺ قال: "سُورَةُ الرَّعْدِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ"[٥].

وعلَّق عليه السيوطي بعد أن سَاقه مبيِّنًا صحَّته قائلًا: "هَكَذَا أَخْرَجَهُ بِطُولِهِ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَشْهُورِينَ"[٦]. ويقول صاحب "التحرير والتنوير": "وَالْأَسْبَابُ الَّتِي أَثَارَتِ الْقَوْلَ بِأَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ أَخْبَارٌ وَاهِيَةٌ"[٧].

٢- أنه قول جمهور أهل التفسير؛ لذا رجَّح مكيَّة السورة أبو جعفر النَّحاس بعد أن ذكر القولين فقال: "وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لِأَنَّهُ الْمُتَعَارَفُ"[٨]. وقال ابن عطية: "والجمهور على أنها مكية"[٩].

---

(١) من آية: ٣١.

(٢) من آية:١٢.

(٣) من آية: ١٤.

(٤) زاد المسير: ابن الجوزي، ٤/ ٢٩٩. وينظر: التفسير الوسيط: طنطاوي، ٧/ ٤٣١.

(٥) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ، صـ٥٣٥، وعزاه إليه السيوطي في "الدر المنثور"، ٨/ ٣٥٩.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، ١/ ٤٠.

(٧) الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ٧٦.

(٨) الناسخ والمنسوخ، صـ٥٣٥.

(٩) المحرر الوجيز، ٣/ ٣٢٠. وينظر: البحر المحيط: أبو حيان، ٥/ ٣٩٠. روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١٦٦.

٣- عند التأمُّل في سياق السورة يتضح أنها سيقت لإثبات أصول عقيدة التوحيد، كما أن جوَّها العام يشير إلى نزولها تسليةً لفؤاد النبي ﷺ شأن السور المكيَّة.

يقول صاحب كتاب "التفسير القرآني": "والراجح عندنا أنها مكية؛ وذلك لِنَظْمِهَا الذي يبدو عليه الطابع المكي، ولمضامين آياتها التي تعرض آيات الله الدالة على قدرته فيما أبدع وصوّر فى هذا الوجود، وذلك هو الغالب على القرآن المكي"(١).

ويقول الطاهر ابن عاشور: "وَمَعَانِيهَا جَارِيَةٌ عَلَى أُسْلُوبِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ على الوحدانية وتقريع الْمُشْرِكِينَ وَتَهْدِيدِهِمْ"(٢).

٤- افتتاح السورة الكريمة بالحروف المقطعة، وفيها سجدة تلاوة؛ وهي من خصائص القرآن المكي غالبًا كما لا يخفَى.

ثالثًا: محور السورة وموضوعاتها الرئيسة: تدور هذه السورة الكريمة حول ترسيخ العقيدة بأصولها الثلاثة: إقامة الأدلة الكونية على وجود الله ووحدانيته ﷻ، وتقرير نبوة محمد ﷺ، وبيان الأدلة على البعث والجزاء، والسورة الكريمة تُعنَى- أيضًا- بالردِّ على بعض شبهات المشركين وتفنيدها ودَحْضِها، وتلك سِمَةٌ غالبة من سِمَات القرآن المكي، ومن المحاور الرئيسة للسورة: أن هذا القرآن وحي من عند الله إلى رسوله ﷺ. قال البقاعي: "مقصودها وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه"(٣).

رابعًا: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها:

أ- **مناسبتها لما قبلها:** من وجوه التناسب بين أول سورة "الرعد"، وبين آخر سورة "يوسف" عليه السلام التي قبلها: أن سورة الرعد كانت تفصيلًا لما أَجْمَلَتْهُ سورة يوسف عليه السلام.

(١) عبد الكريم الخطيب، ٧/ ٦٣.

(٢) التحرير والتنوير، ١٣/ ٧٦.

(٣) نظم الدرر، ١٠/ ٢٦٢.

يقول الآلوسي: "ووجه مناسبتها لما قبلها أنه- سبحانه- قال فيما تقدم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[١]؛ فأجمل- سبحانه- الآيات السماوية والأرضية، ثم فصَّلَ - جلَّ شأنه- ذلك هنا أتم تفصيل. وأيضًا أنه – تعالى- قد أَتَى هنا مما يدل على توحيده ﷻ ما يصلح شرحًا لِمَا حكاه عن يوسف عليه السلام من قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[٢]. وأيضًا في كلٍّ من السورتين ما فيه تسليةٌ له ﷺ. هذا مع اشتراكِ آخرِ تلك السورة وأول هذه فيما فيه وصف القرآن كما لا يخفى"[٣].

ب- مناسبتها لما بعدها: سورة "الرعد" وسورة "إبراهيم" عليه السلام بعدها مُتَّفقتان في افتتاح كلٍّ منهما بالحروف المقطعة، وإقامة الحجة على توحيد الله ﷻ، والتنويه بشأن القرآن الكريم وإثبات كَوْنِه من عند الله ﷻ، وتسلية النبي ﷺ عمَّا لقِيَهُ من مشركي قريش، وتثبيت قلبه ﷺ، وكذلك ذِكْر البعث وما يتعلق به من بيان حُسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة الكافرين.

ومما يُذكَر في المناسبة بين السورتين الكريمتين:

١- أن المشركين "لما قالوا على سبيل الاقتراح ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[٤]، وقيل له: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾[٥]؛ أنزل ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾[٦] كأنه قيل: أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات، هي الضلال

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٥.

(٢) السورة السابقة، من آية: ٣٩.

(٣) روح المعاني، ٧/ ٨٠.

(٤) سورة الرعد، من آية:٢٧.

(٥) السورة السابقة، من آية:٢٧.

(٦) سورة إبراهيم، من آية:١.

، إلى النور، وهو الهدى"[١].

٢- ومن وجوه المناسبة بين سورة "إبراهيم" وبين سورة "الرعد" التي قبلها: أنه قد ذكر في سورة "الرعد" إنزال القرآن حكمًا عربيًّا؛ فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[٢]، ولم يصرِّح فيها بحكمة ذلك، صرَّح بها في سورة "إبراهيم"؛ فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٣][٤]. إلى غير ذلك مما ذكره العلماء من وجوه اتِّصال آخر سورة "الرعد" بأول سورة "إبراهيم". والله أعلم بأسرار كتابه.

المطلب الثاني: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في النصف الأول من سورة الرعد.

وفيه ثلاثة عشر موضعًا، بيانها كالتالي:

الموضع الأول: الطباق بين اللَّيل، والنَّهار.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥] .

في هذه الآية المباركة نَصَبَ القرآنُ الكريم دليلًا على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، ويتَّضح ذلك جليًّا في الجمع بين آيتي الليل والنهار باعتبارهما مَعْلَمًا حِسِّيًّا بارزًا من معالم الأرض؛ ومن ثَمَّ جاء الطباق في الآية الكريمة بين قوله تعالى: ﴿ٱلَّيْلَ﴾، و﴿ٱلنَّهَارَ﴾ ، وهو

(١) البحر المحيط: أبو حيان، ٥/ ٣٩٢.

(٢) سورة الرعد، من آية:٣٧.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ١ .

(٤) ينظر: روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١٦٩ .

(٥) سورة الرعد، آية: ٣.

طباق إيجاب بين اسمَيْن.

وقد قَرَن القرآن الكريم في أغلب مواضعه بين هاتين الآيتين العظيمتين المتلازمتيْن، المتقابلتيْن في دورتيْهما وخصائصهما وآثارهما ووظائفهما، وقوله تعالى: ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: "أنَّ اللَّيْلَ يَأْتِي عَلَى النَّهَارِ فَيُغَطِّيه"(١).

ومن بلاغة الطباق في الآية الكريمة:

أولاً: التعبير بقوله تعالى: ﴿ يُغۡشِي ﴾ على صيغة المضارع؛ وذلك لما يدلُّ عليه من التجدُّد؛ حيث إنَّ إِغْشَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَمْرٌ مُتَجَدِّدٌ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ(٢)؛ ولذا قُرِئَ (يُغَشِّي)- مَفْتُوحَة الْغَيْن مُشَدّدَة الشين-؛ للدلالة على تكرار الفعل ومداومته(٣).

ثانيًا: مما أكسَبَ الكلام رونقًا وعذوبة أنه- تعالى- أسند طرفَيْ الطباق ﴿ٱلَّيۡلَ ﴾، و﴿ٱلنَّهَارَ﴾، إلى المسند الفعلي ﴿ يُغۡشِي ﴾، وفي هذا الإسناد صورة بلاغية رائعة؛ حيث شُبِّهت إزالة ظلام الليل لضوء النهار بتغطية شيء لشيء، بجامع السِّتر والخفاء، ثم استُعيرت التغشية للإزالة، ثم اشتقَّ منها ﴿ يُغۡشِي ﴾ بمعنى "يغطِّي"، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيَّة(٤).

أو أنه- تعالى- شبَّه هيئة زوال النهار بظلام الليل بهيئة تغطية شيء بشيء، بجامع السِّتر

(١) معاني القرآن للزجاج، ٢/ ٣٤٢.

(٢) يُنظَر: حجة القراءات: ابن زنجلة، صـ٢٨٤. التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٣/ ٨٤.

(٣) وهي قراءة شُعبَة عن عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر. يُنظَر: الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، صـ١٥٦. إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٣/ ٢٣٢. روح المعاني للآلوسي، ٤/ ٣٧٧. التحرير والتنوير لابن عاشور، ٨/ ١٦٧.

(٤) الاستعارة التصريحية: "هي ما صُرّح فيها بلفظ المشبَّه به"، **والاستعارة التبعية**: "ما كان فيها المستعار مشتقًّا". جواهر البلاغة: الهاشمي، ١/ ٢٦٧.

والخفاء في كلٍّ، ثم استُعيرت هيئة المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التمثيلية[١].

قال صاحب "الطراز": "وإنما قال: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾، ولم يَقُل: يُلبِس ولا يَخلِط الليل بالنهار؛ لأن لفظة التغشية أبلغ فى الإحاطة والشمول من لفظة الإلباس والاختلاط، مع ما فيها من الرِّقة واللطافة، والخفة والسلاسة، وهي مُؤذِنة أيضا بشدة الاتِّصال والالتحام بين الغشاوة، والمغشي"[٢].

ثالثًا: تقديم ذِكْر الليل على النهار؛ فقد قدَّمَ ﷻ ذِكْرَ الليل على ذِكْرِ النهار؛ وذلك تنبيهًا على أسبقيَّته في الوجود. يقول السيوطيُّ: "في تقديم الليل ما يدلُّ على أنه عدم، والعدم سابق على الوجود..."[٣]. وقال الإمام الآلوسي: "قدَّم الليلَ لسَبْقه في الخَلق"[٤].

وقد رأى بعضُ المفسرين أن كُلًّا من الليل والنهار يصلح أن يكون غاشيًا ومغشيًّا؛ أي يُلحِق الليلَ بالنهار والنهارَ بالليل، فيَذْهَبُ ظَلَامُ هَذَا بِضِيَاءِ هَذَا، وَضِيَاءُ هَذَا بِظَلَامِ هَذَا[٥]، وعلى هذا الرأي يكون من بلاغة الطباق في الآية الكريمة ما يُسمَّى بـ "الاكتفاء"، وهو: "أن يقتضي المقامُ ذِكْرَ شيئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلازُمٌ وارتباط، فَيُكْتَفَى بأَحَدِهما عن الآخر لنكتةٍ بلاغيّة"[٦].

---

(١) الاستعارة التمثيلية هي: "تركيب استُعمل في غير ما وُضِع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كلٌّ من المشبَّه والمشبَّه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور (بأخرى) ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه". جواهر البلاغة: الهاشمي، ١/ ٢٧٥.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة، ١/ ٧٨.

(٣) معترك الأقران، ٣/ ٢٧٨. ويُنظر أيضًا: ١/ ١٣٣. البرهان للزركشي، ٣/ ٢٤٠.

(٤) روح المعاني، ١/ ٤٢٩.

(٥) يُنظَر: الكشاف للزمخشري، ٢/ ١٠٩. مفاتيح الغيب للرازي، ١٤/ ٢٧١. أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/ ١٦. فتوح الغيب للطيبي، ٦/ ٤٠٤، ٤٠٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٢٧. السراج المنير للخطيب الشربيني، ١/ ٤٨٠. التفسير الوسيط لطنطاوي، ٥/ ٢٨٥.

(٦) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ٢/ ٤٨.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

الموضع الثاني: الطباق بين المُجْتَمِع، والمُتفرِّق

قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٢]. والصِّنوان جمع صِنْو، و"الصِّنْوُ: الغصنُ الخارج عن أصل الشّجرة، يقال: هُمَا صِنْوَا نخلةٍ، وفلانٌ صِنْوُ أبيه، والتّثنية: صِنْوَانِ، وجمعه صِنْوَانٌ"[٣]. والصِّنْوُ من النَّخْل: نَخْلتانِ أو ثلاثٌ أو أكثرُ أصلُهُنَّ واحد وفروعُهُنّ شتَّى، فالصِّنْوانُ: المُجْتَمِعُ، وغيرُ الصِّنْوانِ: المُتفرِّقُ[٤].

والطباق في الآية الكريمة طباق سَلْبٍ بين اسمين، الأول مُثبَت، والثاني منفيّ، وهما: ﴿صِنْوَانٌ﴾، ﴿ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾.

ومن لطيف ما وقع في هذا الطباق من البلاغة:

أولًا: الإظهار في مقام الإضمار؛ فلو أن الآية جاءت بالإضمار دون الإظهار فقيل: ونخيل صنوان وغيره، دون قوله تعالى: ﴿ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ ما حدث إخفاء أو إبهام؛ لورود ما يعود عليه الضمير قَبْلًا وهو ﴿ صِنْوَانٌ ﴾، ولكن القرآن عدَلَ إلى الإظهار لنكتة بلاغية مؤداها-

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) سورة الرعد، آية: ٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، صـ٤٩٤. مادة (صَ نَ وَ).

(٤) يُنظَر: العين للخليل بن أحمد، ٧/ ١٥٨. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ١٢/ ٢٤٣، لسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٤٧٠. مادة (صَ نَ ا).

والله أعلم- تمكين ما ركَّزت عليه الآية الكريمة من تعداد النِّعم في ذهن السامع؛ ليكون ذلك أَدْعَى لمزيد من الشكر عليها، ووجوب تجدد العبرة من كل ما تُنبِت الأرض باختلاف أحواله.

قال الطاهر ابن عاشور: "وَخُصَّ النَّخْلُ بِذِكْرِ صِفَةِ ﴿ صِنْوَانٌ ﴾؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِهَا أَقْوَى. وَوَجْهُ زِيَادَةِ ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ تَجْدِيدُ الْعِبْرَةِ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ"(١).

ثانيًا: الإطناب بذكر الخاص بعد العام؛ فقد خصّ الله- تعالى- الأعناب والزرع والنخيل بالذِّكر، مع أنها داخلة في عموم ﴿ وَجَنَّٰتٌ... ﴾؛ إذ الجَنَّة: "كلُّ بستانٍ ذي شجر يَسْتُر بأشجاره الأرض"(٢)، والغرض البلاغي من هذا النوع من الإطناب هو التنبيه على فضل هذه الأشجار، وزيادة التنويه بشأنها، حتى كأنها ليست من جنس العام.

وسبب تخصيصها بالذكر: أنها أشهرُ الثِّمَار في بلادهم، فذكَّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها، أو لأنَّها أهمُّ الأشجار عندهم، وثمرُهَا أكثر أقواتهم، وفيها من الفضيلة على سائر ما يُنبت في الجنَّات(٣).

الموضع الثالث: الطباق بين العقوبة، والعافية .

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٤).

يقول البغوي: "الاستعجال: طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، والسيئة هاهنا هي:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣/ ٨٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، صـ٢٠٣ وما بعدها. مادة (جَنَّ).

(٣) يُنظَر: جامع البيان للطبري، ١٩/ ٢١. زاد المسير لابن الجوزي، ١/ ٣٢٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٧/ ٩٨. فتح البيان لمحمد صديق خان، ٤، ٢٥٣، ٩/ ١٠٨. التفسير الوسيط لطنطاوي، ٥/ ١٩٤.

(٤) سورة الرعد، آية: ٦.

العقوبة، والحسنة: العافية. وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلًا من العافية استهزاء منهم"[١].

ومن بلاغة الطباق في الآية الكريمة:

التعبير بالفعل المضارع في ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾؛ لدلالته على تجَدُّدِ التعجيل وتكرُّرِه، ولذلك كانت السين والتاء اللَّتان تدلَّان على الطلب، ومن خلال التفسير يتَّضح أن في الآية طباق إيجاب بين اسمَيْن هما: {السَّيِّئة}، و﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢]، وشبيه بهذا قوله- تعالى-:﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣].

الموضع الرابع: الطباق بين الغَيْضِ، والزِّيادة

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[٤] . و﴿تَغِيضُ﴾: من الغَيْض بمعنى النَّقص. يُقَال: غَاضَ الماء يَغِيضُ غَيْضًا ومَغَاضًا: إذا نقَصَ[٥]. وفي الآية الكريمة طباق إيجاب بين فِعلَيْن مُضارعيْن هما: ﴿تَغِيضُ﴾، و﴿تَزْدَادُ﴾.

---

(١) معالم التنزيل، ٤/ ٢٩٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٣٢.

(٣) سورة العنكبوت، آيتا: ٥٣، ٥٤.

(٤) سورة الرعد، آية: ٨.

(٥) يُنظَر: تاج العروس للزَّبيدي، ١٨/ ٤٧١، مادة (غَ يَ ضَ). التفسير الوسيط لطنطاوي، ٧/ ٤٥١.

ومن بلاغة هذا الطباق:

أولًا: التعبير بالاسم الموصول﴿ مَا ﴾؛ لبيان العموم، "وعمومها يقتضي عِلم الله بحال الحمل الموجود من ذكورة وأنوثة، وتمام ونقص، وحُسْنٍ وقُبحٍ، وطول وقِصَر، ولون...، والازدياد: التعدُّد أي ما يكون في الأرحام من جنين واحد أو عدة أجِنَّة وذلك في الإنسان والحيوان"(١).

ثانيًا: إسناد "الغَيْضِ"، و "الزيادة" إلى الأرحام على سبيل الإسناد المجازي(٢)؛ إذ الفاعل حقيقة هو الله تعالى، أو لأن النقص والزيادة يكونان لما في الأرحام(٣).

يقول القونوي: "فإن ما قام به النقصان والزيادة هو ما في الأرحام دون الأرحام، لكن أسند إلى الأرحام لمُلابسة المَحليَّة"(٤).

ثالثًا: الكناية عن نَقْصِ الحمل أو فساده بعد العُلوق بالغَيْض، وفي ذلك يقول صاحب "المفردات: "﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾؛ أي: تُفْسِده الأرحام، فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض، والغَيْضَةُ: المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه"(٥).

ويقول الطاهر ابن عاشور: "وَتَغِيضُ: تَنْقُص، والظاهر أنه كناية عن العُلوق؛ لأن غيض

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ١٣/ ٩٧.

(٢) الإسناد المجازي أو المجاز العقلي: "هو: إسنادُ الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له". جواهر البلاغة: الهاشمي، ١/ ٢٥٥.

(٣) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٤٨٦. أنوار التنزيل: البيضاوي، ٣/ ١٨٢. فتوح الغيب: الطيبي، ٨/ ٤٧١. البحر المحيط: أبو حيان، ٥/ ٣٦٢. روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١٠٤.

(٤) حاشية القونوي، ١٠/ ٤٦٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب، صـ٦١٩.

الرَّحم انحباس دم الحيض عنها، وازديادها: فيضان الحيض منها"[١].

رابعًا: دخول "أَلْ" الاستغراقية على الجمع في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾؛ الأمر الذي يفيد العموم، فيدخل فيه ما تحمله كل أنثى من أَجِنَّة الإنسان والحيوان، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ فَجِيءَ بفعل الْحَمْلِ دون الْحَبَلِ؛ لاختصاص الْحَبَلِ بِحَمْلِ المرأة[٢].

خامسًا: تقديم ذكر الغيض على الزيادة؛ وذلك تنبيهًا على أن "الأصل عدم الزيادة"[٣]، ولأنَّ "الزيادة في الرَّحِم قد تكون ملاحظتها أكثر من الغيض، وتماشيًا مع جو الصورة العام بتقديم الخفيّ"[٤].

الموضع الخامس: الطباق بين الغيب، والشهادة

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[٥].

يقول الطاهر ابن عاشور: "والمراد بالغيب ما لا يُدرَك بالحواس مما أخبر الرسول ﷺ صريحًا بأنه واقع أو سيقع مثل: وجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة، والشياطين، وأشراط الساعة، وما استأثر الله بعلمه[٦]، وأما الشهادة فهي هنا مصدر بمعنى المفعول، أي الأشياء المشهودة، وهي الظاهرة المحسوسة، المرئيات وغيرها من المحسوسات"[٧]. ويعني بقوله:

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ١٣/ ٩٧.

(٢) يُنظَر: المرجع السابق، نفسه.

(٣) معترك الأقران للسيوطي، ٢/ ٣٣٣.

(٤) الإعجاز في نظم الصورة البديعية في القرآن الكريم: حجاج محمد عطية، صـ٣٠.

(٥) سورة الرعد، آية: ٩.

(٦) التحرير والتنوير، ١/ ٢٢٩.

(٧) المرجع السابق، ١٣/ ٩٨.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: "عالِمٌ بما يغيب عن الحِسّ، وما هو محسوس حاضر"[1].

وفي الآية الكريمة طباق إيجاب بين اسمَيْن هما: ﴿ ٱلۡغَيۡبِ ﴾، و {الشَّهادة}.

ومن ضروب البلاغة في هذا الطباق ما يأتي:

أولًا: التعبير بالجملة الاسمية ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لِمَا في الجملة الاسميّة من الدَّلَالَة عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ.

ثانيًا: دخول الألف واللام التي تفيد الاستغراق على الاسم المفرد في قوله تعالى: ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يفيد العموم، وظاهر هذا العموم شمول عِلْمه ﷻ لكلِّ ما غاب عن خلقه وما شهدوه.

ثالثًا: حذف المسند إليه، وفيه إشارة إلى أن الخبر لا يُتوهَّم أن يكون لغيره تعالى؛ "فإن قوله: ﴿عَٰلِمُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، ولكن لما كان الخبر لا يكون إلا له- سبحانه- جاء الكلام على الحذف، وفي هذا الحذف إشارة إلى الوحدانية والجلال"[2].

رابعًا: تقديم ذكر الغيب على الشهادة؛ لإفادة أنه ﷻ عَالِمٌ بكلِّ الأحوال على التَّفصيل، فإذا كان عالمًا بالغيب، فالشهادة من باب أَوْلَى.

خامسًا: أنه ﷻ أَجْمَلَ المعنى في هذه الآية في عِبارةٍ موجَزةٍ بعد تفصيله في الآية السابقة؛ "فالغيب والشهادة جمعٌ لما تقدَّم من تفصيلٍ في حمل غائضٍ غائب، أو حمل ظاهرٍ زائد، وكذا المقادير المحدودة التي تنتظم جميع الموجودات"[3]. وهذا ما يُسمِّيه العلماء بالفَذْلَكَة.

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة، ٣/ ٣٩٠٧.

(٢) خصائص التراكيب: محمد محمد أبو موسى، صـ١٧٥.

(٣) تفسير سورة الرعد: محمد صالح مصطفى، صـ١٠٥.

الموضع السادس: الطباق بين السِّر، والجهر.

قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[١]. ورد الطباق في الآية بين فِعلَيْن ماضِيَيْن هما: ﴿ أَسَرَّ ﴾، و ﴿ جَهَرَ ﴾، وهو طباق إيجاب.

يقول القرطبي: "إِسْرَار القول: ما حدَّث به المرءُ نفسَه، والجهر ما حدَّث به غيرَه، والمراد بذلك أن الله سبحانه يعلم ما أَسَرَّه الإنسان من خير وشر، كما يعلم ما جَهَر به من خير وشرٍّ"[٢].

ومن بلاغة الطباق في الآية الكريمة:

أولًا: مجيء ﴿ مَنْ ﴾ الموصولة في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ يفيد العموم، فيكون المعنى: كل من أسرَّ القول ومن جَهَر به سواء في علم الله تعالى، لا يَخْفَى عليه من أحوالهم شيء.

ثانيًا: تقديم الإسرار على الجهر؛ ليفيد أنَّ من عَلِمَ السِرَّ فهو يعلم الجهر بطريق الأَوْلَى، وفي التسوية بين السِرِّ والجهر دلالة على سعة علمه وإحاطته بخلقه ﷻ.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣].

الموضع السابع: الطباق بين الأمام والخلف، وبين نفي التغيير وإيجابه

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[٤].

(١) سورة الرعد، آية: ١٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ٢٨٩، ٢٩٠.
(٣) سورة الملك، آيتا: ١٣، ١٤.
(٤) سورة الرعد، آية: ١١.

في الآية نوعا طباق، الأول: طباق إيجاب بين ظرفين هما: ﴿ بَيۡنِ يَدَيۡهِ ﴾ و ﴿خَلۡفِهِۦ﴾، والثاني: طباق سلْب بين فِعلَيْن مُضارعيْن أولهما منفيّ بلا وهو ﴿ لَا يُغَيِّرُ ﴾، وثانيهما مُثبَت وهو﴿ يُغَيِّرُواْ ﴾ المُتَّصل بواو الجماعة.

ومن بلاغة الطباق في الآية الكريمة:

أولًا: تصدير الآية بالجملة الاسمية في قوله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ﴾، ثم مجيء قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ مُؤكَّدًا بإن واسمية الجملة؛ ليقرر هذا المعنى في الأذهان، ويُرسِّخه في القلوب، ويُثبِّته في النفوس.

ثانيًا: التعبير بالجملة الفعلية وابتداء الوصف بها قبل الوصف بالجار والمجرور في قوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾؛ أفاد معنى الدوام، وتوكيد الحفظ.

ثالثًا: التعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿ مَا بِقَوۡمٍ﴾، ﴿مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾؛ لبيان العموم.

قال أبو حيان: "و﴿ مَا ﴾ موصولة صلتها ﴿بِقَوۡمٍ﴾ ، وكذا ﴿مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، وفي ﴿ مَا﴾ إبهام لا يتغير المراد منها إلا بسياق الكلام، واعتقاد محذوف يتبين به المعنى، والتقدير: لا يُغيِّر ما بقومٍ من نعمةٍ وخيرٍ إلى ضدِّ ذلك، حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم من طاعته إلى تَوَالِي معصيته"(١).

الموضع الثامن: الطباق بين بلوغ الشيء وعدمه.

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾(٢) .

الطباق هنا طباق سَلْب بين فعل مضارع مُثبت﴿ لِيَبۡلُغَ ﴾ واسم منفيّ ﴿ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾.

(١) البحر المحيط، ٥/ ٣٦٥.

(٢) سورة الرعد، آية: ١٤.

بيَّن ﷻ بطلانَ عبادة غيره، وعدم استحقاق الأصنام أن يدعوها الدَّاعُون بضرب المثل؛ إمعانًا في تقرير المعنى المراد، وتصويره بالصورة المحسوسة، فشبَّه "حال المشركين في دُعائهم الأصنام وجلب نفعهم، وعدم استجابة الأصنام لهم بشيء، بحال الظمآن يبسط كفَّيْه يبتغي أن يرتفع الماءُ في كفَّيْه المبسوطتيْن إلى فمه ليرويه، وما هو ببالغٍ إلى فمه بذلك الطَّلب، فيذهب سعيُه وتعبُه باطلًا"(١).

قال الماوردي: "وضرب اللهُ ﷻ الماءَ مثلًا لإيَاسِهِم من إجابة دُعائهم؛ لأن العرب تَضْرِب لمن سَعَى فيما لا يُدْرِكُهُ مَثلاً بالقابض الماءَ باليد، كما قال الشاعر:

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كانَ بَيْنِي وبَيْنَهَا ... مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ بِاليَدِ"(٢).

وهذا من أجود التشبيه وأبلغه؛ إذ إنه أخرج ما لا تقع عليه الحاسَّة إلى ما تقع عليه، والمعنى أن الأصنام التي يعبدها هؤلاء المشركون من دون الله لا تُجِيبهم إلى أي شيء ولو كان تافهًا حقيرًا، إلا كباسط كفيَّه للماء مغترفًا منه، فلا يخرج منه بشيء يصل إلى فمه، أو إلا كإجابة الماء لشخصٍ بسط كفيَّه إليه من بعيد، طالبًا منه أن يبلغ فمه، وما الماء ببالغٍ فمَ هذا الشخص؛ لأن الماء لا يسمع نداء من يناديه؛ فجاء المثل مقررًا للمعنى المقصود بصورة حسية ملموسة(٣)، "والمعنى الذى يجمع بينهما: الحاجة إلى المنفعة، والحسرة لما يفوت من درك الحاجة"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٠٩.

(٢) النكت والعيون: الماوردي، ٣/ ١٠٣ (بتصرف). والبيت لضابيّ بن الحارث البرجمي. يُنظَر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/ ٣٢٧. جامع البيان للطبري، ١٦/ ٤٠٠. الكشف والبيان للثعلبي، ٥/ ٢٨١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٩/ ٣٠٠.

(٣) ينظر: الصناعتين: أبو هلال العسكري، صـ٢٤٠. التفسير الوسيط: طنطاوي، ٧/ ٤٥٩. أسلوب المقابلة في سورة الرعد: أحمد محمد الشرقاوي، صـ٥٣.

(٤) الصناعتين: أبو هلال العسكري، صـ٢٤٠.

وفي قوله تعالى: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ مضاف محذوف، والتقدير: لا يستجيبون شيئًا من الاستجابة إلا كاستجابة باسط كفَّيْه، والاستجابة مستحيلة، فتكون استجابة أندادهم مستحيلة(١).

يقول أبو السعود: "شُبِّه حالُ المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتِهم على شيء أصلًا وركاكةِ رأيهم في ذلك، بحال عطشانَ هائمٍ لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصولَه إلى فيه، من غير ملاحظةِ التشبيه في جميع مفرداتِ الأطراف، فإن الماءَ في نفسه شيءٌ نافع بخلاف آلهتِهم، والمرادُ نفيُ الاستجابةِ رأسًا، إلا أنه قد أُخرج الكلامُ مخرج التهكم بهم فقيل: لا يستجيبون لهم شيئًا من الاستجابة كائنة في هذه الصورةِ التي ليست فيها شائبةُ الاستجابة قطعًا فهو في الحقيقة من باب التعليقِ بالمحال"(٢).

ومن ضروب البلاغة في هذا الطباق:

النفي باسم الفاعل في قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾، فنَفَى عن الماء ذلك الوصفَ؛ لأن النفيَ بالوصف أبلغ من نفي الفعل، فحين تقول مثلاً: أنت لا تشرح لي درسًا، فهذا يعني أن القدرة موجودة لكن ينقصها الرضا بمزاولة الفعل، إنما حين تقول: أنت لستَ بشارحٍ فقد نفيتَ عنه أن يكون مِن زُمرة مَن حصل منهم هذا الفعل(٣).

(١) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٥٢١. مفاتيح الغيب: الرازي، ١٩/ ٢٥. روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١١٨. زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٧/ ٣٩١٧.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ٥/ ١١.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٧/ ٣٩١٦.

الموضع التاسع: الطباق بين الطَّوع والكَرْه، والغُدُوِّ والآصال

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[١].

في الآية الكريمة ثلاثة طباقات إيجاب كلٌّ منها بين اسمين، الأول بين: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، و ﴿ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، والثاني بين: ﴿ طَوْعًا ﴾ ، و﴿ وَكَرْهًا ﴾ ، والثالث بين: (الغُدُوّ)، و (الآصال).

ومن لطيف ما وقع في هذا الطباق من البلاغة:

أولًا: القصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ يدل على الاختصاص؛ أي:

كل شيء يخضع للهِ وحدَه لا لشيءٍ غيرِه استقلالًا ولا اشتراكًا[٢]، وصيغةُ المُضارِعِ ﴿يَسْجُدُ﴾ تُفيدُ الاستمرارَ، "وإذا كان المراد من السجود لازمه، وهو الانقياد، يكون التعبير من قبيل المجاز المرسل؛ حيث أطلق السجود وأراد لازمه"[٣].

ثانيًا: تخصيصُ انقيادِ العُقلاءِ بالذِّكْرِ مع كَونِ غيرِهم أيضًا كذلك؛ لأنَّهم العُمدَةُ، وانقيادهم دليلُ انقيادِ غيرِهم، وقيل: المراد ما يشمل أولئك وغيرهم، والتعبير بـــــ ﴿مَن﴾ للتغليب[٤].

ثالثًا: تقديم ذكر {السموات} على {الأرض}؛ الأمر الذي يدل على شرفها وفضلها وعلو منزلتها[٥]، ولأن الآية الكريمة في سياق تقرير وحدانيته ﷻ ناسب تقديمها؛ لكونها أظهر دلالةً

(١) سورة الرعد، آية: ١٥.

(٢) ينظر: روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١١٩.

(٣) زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٧/ ٣٩١٨.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ٥/ ١٢. فتح القدير: الشوكاني، ٣/ ٨٩. روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١١٩. زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٧/ ٣٩١٨.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي، ٢/ ١٥٣. البحر المحيط: أبو حيان، ١/ ٦٣٨. إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ٣/ ١٠٤.

على عظيم قدرته ﷻ.

رابعًا: تقديم الطَّوع على الكَرْه يشير إلى ما هو الأَوْلَى في حقهم أن ينقادوا له طَوعًا لا كرهًا؛ لأن سياق الكلام في إظهار كمال قدرته ﷻ، فأفاد بذكر الطباق عموم الحال؛ لأن الخضوع والتذلُّل والانقياد لا يخرج عن هذين الحالين، وفي ذكر الطباق زيادة تأكيد للخضوع والانقياد التام لله ﷻ؛ فكلّ ما سوى الله هو متذللٌ مُنقادٌ خاضعٌ لجلال الله في الوجود والعدم، وهذا هو نهاية الانقياد والخضوع، ونظير هذه الآية في الدلالة على المعنى قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١)، وأدَّى الطباق وظيفته في بيان عموم قدرته تعالى، كما اقتضى السياق العطف بالواو دلالة على الجمع بين الحالين(٢).

خامسًا: تخصيصُ وَقْتَيْ الْغُدُوِّ وَالْآصَال بالذِّكر مع أنَّ انقيادَها مُتَحَقِّقٌ في جميعِ أوقاتِ وُجودِها؛ لأنَّ الظِّلالَ إنَّما تعظُمُ وتكثُرُ فيهما(٣)؛ ومن ثَمَّ يكون فيها مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ حيث ذكَر الجزْءَ وأراد الكلَّ، والقَرينةُ أنَّ خضوع المخلوقات في جميع الأوقات، لا في جزء منها.

الموضع العاشر: الطباق بين السنوات والأرض، والنفع والضر، والمؤمن والكافر، والإيمان والكفر

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾(٤).

في الآية الكريمة أربعة طباقات إيجاب كلٌّ منها بين اسمين، الأول بين: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، و

(١) سورة آل عمران، آية: ٨٣.

(٢) ينظر: الإعجاز في نظم الصورة البديعية في القرآن الكريم: حجاج محمد عطية، صـ٤٦، ٤٧.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: الرازي، ١٩/ ٢٦. فتح القدير: الشوكاني، ٣/ ٨٨.

(٤) سورة الرعد، آية: ١٦.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، والثاني بين: ﴿ نَفۡعًا ﴾، و﴿ضَرًّا﴾، والثالث بين: ﴿ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾، و ﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾ ، والرابع بين: ﴿ ٱلظُّلُمَٰتُ ﴾، و﴿وَٱلنُّورُ﴾.

ومِن مَحاسنِ بلاغةِ الطباق في الآيةِ الكريمة:

أولًا: خروج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الذي قُصِد به الإنكار التوبيخي؛ أي: "أبَعْدَ أن علمتموه ربَّ السموات والأرض اتَّخذتم من دونه أولياء، فجَعَلْتُم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من عِلْمكم وإقراركم سبب الإشراك؟[١]".

ثانيًا: أفاد التعبير بوصف الأولياء بعدم المالكيَّة للنفع والضر﴿ لَا يَمۡلِكُونَ﴾؛ إذ جاءت صِفَة لـ ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ نفي الاتخاذَ المذكور وتأكيد إنكاره[٢]، والدلالة على ثبوت هذه الصفة ثبوتًا يُوجِب العِلم "أَنَّ مَنْ كَانَتْ تِلْكَ صِفَتهُ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِأَنْ يُعْبَدَ"[٣].

ثالثًا: تقديم النفع على الضر هاهنا؛ لأن سياق الآية الكريمة في نفي استحقاق الأصنام للعبادة، ومِن دَأْبِ الولي نَفْعُ وليِّه مطلقًا أصابه ضراء أو لم يصبه، وسواء أَقدر على دفع الضر أو لم يقدر[٤]، فقدّم في هذا الموضع الأفضل على الأنقص؛ إذ إن "اجتلاب النفع أشرف من استدفاع الضر، وهو رتبة فوقه، فمن فاته ذلك طلب دفع الضر"[٥].

رابعًا: التعبير بالتنكير في سياق النفي﴿ نَفۡعًا ﴾ أفاد العموم بأنهم لا يقدرون على النفع بأي

(١) الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٥٢٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ٥/ ١٣. روح المعاني: الآلوسي، ٧/ ١٢١.

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١١٣.

(٤) ينظر: كشف المعاني: ابن جماعة، صـ٢١٨.

(٥) درة التنزيل: الخطيب الإسكافي، ١/ ٩٥٧.

شيء ولو كان قليلًا، ولما كان شأْن الضَّرِّ أنَّه أقربُ للاستطاعةِ وأسهل؛ عطف الضُّرَّ على النَّفعِ؛ استقصاءً في عجْزِهم(١).

خامسًا: خروج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ من معناه الحقيقي إلى معنًى مجازي قُصِد به الإنكار، فهو في معنى النفي، والمراد إنكار استواءِ مَنْ لا يعلم ما ذُكر من الحقائق ومن يعلمُها، وفيه من الإشعار بكمالِ ظهورِها، ومن التنفير عن الضلالِ، والترغيب في الاهتداء ما لا يَخْفى، وتكريرُ الأمر ﴿قُلْ﴾ لتثنية التبكيتِ وتأكيدِ الإلزام- كما أفاده أبو السعود(٢)-.

سادسًا: في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ تشبيه بليغ، حُذِف منه أداة الشبه ووجه الشَّبه؛ حيث شبَّهَ- سبحانه- الكافر بالْأَعْمى، والكفر بالظُّلُمات، وشبَّه المؤمن بالْبَصِير، والإيمان بالنُّور، والغرض من هذا التشبيه: بطلان اسْتِحْقَاقِ آلِهَتِهِم الْعِبَادَةَ؛ ومن ثَمَّ جعل المُشبَّه عين المُشبَّه به؛ الأمر الذي يقوّي المعنَى، ويؤكده، ويجعله أعظم وَقْعًا في القلب، وقيل: فيه استعارة تصريحية أصلية؛ لأنه استعار لفظ الظلمات والنور للكفر والإيمان، وكذلك لفظ الأعمى للمشرك الجاهل، والبصير للمؤمن العاقل(٣).

يقول عبد القاهر الجرجاني- ما ملخصه-: "النور في القرآن مستعار للبيان والحُجة، ويُستعار للعلم نفسه أيضًا وللإيمان. وكذلك حكم الظُّلمة إذا استعيرت للشُبهة والجهل والكفر... وإذا استعيرت للضلالة والكفر؛ فلأن صاحبهما كمن يسعَى في الظلمة فيذهب في غير الطريق، وربما

(١) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١١٣.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٣/ ١٣٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ابن عطية، ٣/ ٣٠٦. البحر المحيط: أبو حيان، ٥/ ٣٧٠. التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١١٤.

دُفِعَ إلى هُلْكٍ، وتردَّى في أُهْوِيَّة[١].

سابعًا: التعبير في جانب الظلمات بصيغة الجمع، وفي جانب النور بالإفراد؛ لِأَنَّ "الهدى واحد، والضلال متعدد"[٢]، ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[٣].

ثامنًا: قَدَّمَ- سبحانه- ذِكْرَ الأعمى على البصير، وقدَّمَ ذِكْرَ الظُّلُمَاتِ على النور؛ لأنه المناسب لمقام توبيخ المشركين على عبادتهم الأصنام، وفي تقديم ذِكْرِ الظُّلُمَاتِ- أيضًا- "مُرَاعَاة لِلتَّرَتُّبِ فِي الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَةَ سَابِقَةٌ النُّورَ"[٤].

يقول الطاهر ابن عاشور: "وَاخْتِيرَ التَّشْبِيهُ فِي الْمُتَقَابِلَاتِ الْعَمَى وَالْبَصَرِ، وَالظُّلْمَةِ وَالنُّورِ، لِتَمَامِ الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّ حَالَ الْمُشْرِكِينَ أَصْحَابِ الْعَمَى كَحَالِ الظُّلْمَةِ فِي انْعِدَامِ إِدْرَاكِ الْمُبْصَرَاتِ، وَحَالُ الْمُؤْمِنِينَ كَحَالِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ وَكَحَالِ النُّورِ فِي الْإِفَاضَةِ وَالْإِرْشَادِ"[٥].

الموضع الحادي عشر: الطباق بين الحق والباطل.

قال تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٦].

في الآية طباق إيجاب بين اسمَيْن هما: ﴿ ٱلْحَقَّ ﴾، و﴿وَٱلْبَٰطِلَ ﴾.

---

(١) أسرار البلاغة، صـ٦٦، ٦٧ (بتصرف).

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي، ٢/ ١٥٣.

(٣) سورة الأنعام، من آية: ١٥٣. وينظر: حاشية الشهاب الخفاجي، ٤/ ٦.

(٤) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ٧/ ١٢٧.

(٥) المرجع السابق، ١٣/ ١١٤، ١١٥.

(٦) سورة الرعد، آية: ١٧.

ضرب الله مثلًا للحق والباطل، فشبَّه الحق في ثباته وبقائه بالماء الباقي الصافي، وشبَّه الباطل في اضمحلاله وسرعة زواله وعدم منفعته بالزَّبد الذي هو وإن علا على الماء فإنه يضمحلُّ ويذهب، كذلك الكفر وإن علا وظهر على الحق في بعض الأحوال، فإنه سيذهب ويضمحلُّ كَاضْمِحْلَالِ الزَّبَدِ بعد رغوته على سطح الماء، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ يقال: أَجْفَأَتِ الْقِدْرُ إِذَا غَلَتْ حَتَّى يَنْصَبَّ زَبَدُهَا، وَالْجُفَاءُ مَا أَجْفَاهُ الْوَادِي؛ أَيْ: رَمَى بِهِ.

وشبَّه- سبحانه- أيضًا الحقَّ بالمعادن النافعة من ذهب أو فضّة ونحوهما من المعادن والجواهر التي يُوقِد عليها الناس في النار طلبَ حليةٍ يتخذونها، أو ابتغاء متاعٍ ينتفعون به، وشبَّه الباطل بما يعلو تلك المعادن من شوائب عند انصهارها أو إذابتها في النار، فأما الشوائب فتذهب لا قيمة لها، ولا يستقر ويبقى إلا ما ينتفع به النَّاس من صَفْو هذه المعادن(١).

يقول الزجاج: "فمثلُ المؤمن واعتقاده ونفْعِ الإيمان كمثل هذا الماء المنتفَع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذُكِرَتْ؛ لأنها كلها تبقى منتفَعًا بها، ومثل الكافر وكُفره كمثل هذا الزَّبَد الذي يذهب جُفاءً، وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا يُنتفَع به"(٢).

ويقول الشوكاني: "وَهَذَانِ مَثَلَانِ ضَرَبَهُمَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يَقُولُ: إِنَّ الْبَاطِلَ وَإِنْ ظَهَرَ عَلَى الْحَقِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَعَلَاهُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ سَيَمْحَقُهُ وَيُبْطِلُهُ وَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، كَالزَّبَدِ الَّذِي يَعْلُو الْمَاءَ فَيُلْقِيهِ الْمَاءُ وَيَضْمَحِلُّ، وَكَخَبَثِ هَذِهِ الْأَجْسَامِ فَإِنَّهُ وَإِنْ عَلَا عَلَيْهَا فَإِنَّ الْكِيرَ يَقْذِفُهُ وَيَدْفَعُهُ؛ فَهَذَا مَثَلُ الْبَاطِلِ، وَأَمَّا الْمَاءُ الَّذِي يَنْفَعُ النَّاسَ وَيُنْبِتُ الْمَرَاعِيَ فَيَمْكُثُ

(١) ينظر: جامع البيان: الطبري، ١٦/ ٤٠٨- ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٩/ ٣٠٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، ٣/ ١٤٥، ١٤٦.

فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الصَّفْوُ مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَامِ فَإِنَّهُ يَبْقَى خَالِصًا لَا شَوْبَ فِيهِ، وَهُوَ مَثَلُ الْحَقِّ"[١].

ومن لطيف ما وقع في هذا الطباق من البلاغة:

أولاً: مع أن الله- سبحانه- قدَّم ذكر الحق على الباطل ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾ باعتباره هو الأحق بالتقديم، إلا أنه لما بيَّن وجه الشَّبه ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بدأ أولًا بذكر مثال الباطل فذكر المشبه به ﴿ ٱلزَّبَدُ﴾؛ لتأكيد ذهاب الباطل مهما علا وانتفش، ثم ثنَّى بذكر المشبه وهو﴿ ٱلۡحَقَّ ﴾؛ لبيان بقائه ونفْعِه وثباته، وأن النهاية دائمًا له[٢].

وعليه يكون في قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من فنون البلاغة: اللَّف المُفصَّل والنشر غير المرتب[٣]؛ حيث جاء اللَّفُ متعددًا، وهو قوله:﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾، ثم أتبعه بالنشر غير المُرتَّب على ترتيب اللَّف، فقال تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾؛ وهذا يقابل الباطل، ثم قال: ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ وهذا يقابل الحق[٤].

---

(١) فتح القدير، ٣/ ٩١.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٨/ ٣٩٢٥. أسلوب المقابلة في سورة الرعد: أحمد محمد الشرقاوي، صـ٥٥.

(٣) اللف والنشر أو الطي والنشر عرَّفه الخطيب في "الإيضاح"، صـ٣٣٢، ٣٣٣، بقوله: "ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه". واللف والنشر نوعان: الأول: المفصل: وهو ضربان، "أحدهما: ما كان النشر فيه على ترتيب اللف، بأن يكون الأول من النشر للأول من اللف، والثاني للثاني، وهكذا على الترتيب... والضرب الثاني مما ذكر فيه المتعدد تفصيلًا: هو ما كان فيه النشر على غير ترتيب اللف، وهو إما أن يكون الأول من النشر للآخر من اللف، والثاني لما قبله، وهكذا على الترتيب، ويُسمَّى معكوس الترتيب". أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم، صـ٦٩- ٧١.

(٤) ينظر: نظم الدرر: البقاعي، ١٠/ ٣١٨.

ثانيًا: تقديم "الباطل" في النشر على "الحق"، بعكس الترتيب في اللف بتقديم "الحق" على "الباطل" يسترعي الانتباه، والترتيب في اللف بتقديم "الحق" قد يكون لتشريفه؛ لأنه الأصل فاستحق التقديم، أما العكس في النشر فيومئ إلى سرعة زوال الباطل وفنائه، والله أعلم.

ثالثًا: في الآية الكريمة تشبيه تمثيلي؛ لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد؛ حيث شَبَّه- سبحانه- هيئة الحق في بقائه ودوامه بهيئة الماء الصافي الذي يستقر في الأرض، والجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد، من حيث النفع والبقاء والدوام، وشبَّه هيئة الباطل بهيئة الزَّبَد والرّغوة التي تظهر على وجه الماء، والخَبَث من الجوهر الذي لا يلبث أن يتلاشى ويضمحلّ، والغرض من هذا التشبيه- والله أعلم- التعريض بأهل الكفر، والكناية عن حُسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة الكافرين[١].

رابعًا: حذف المضاف في قوله: ﴿يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾، والتقدير: يضرب الله مَثَلَ الحق والباطل؛ الأمر الذي يُنبِيء عن كمال التماثل بين المُمَثَّل والمُمَثَّل به، حتى لكأن المَثَلَ المضروب هو عين الحق وعين الباطل[٢].

خامسًا: من لطيف ما وقع في هذه الآية الكريمة من فنون البلاغة: الجمع مع التقسيم؛ الذي عرَّفه الخطيب بقوله: "جمع متعدِّد تحت حُكمٍ، ثم تقسيمه..."[٣]؛ حيث إنه ﷺ "جمع أولًا الماء

(١) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٢٠. زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٨/ ٣٩٢٤. حدائق الروح والريحان: الهرري، ١٤/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٢٠. محاسن التأويل: القاسمي، ٦/ ٢٧٧. التفسير الوسيط: طنطاوي، ٧/ ٤٦٦.

(٣) الإيضاح، صـ٣٣٥.

والفِلِزّ[١] في حكم كونهما جامعيْن لمعنى ما ينتفع به الناس ولما لا نفع فيه، فإنزال الماء على القدر المحتاج إليه خالص للنفع، وحَمِيلُه- الذي هو زَبَد السَّيل- لا نفع فيه، وكذا الفِلِزّ: ما يُتَّخَذ منه الحليّ والأواني هو المنتفع به، وخَبَثه الذي هو زَبَده مما لا نفع فيه، ثم فصَّل ثانيًا حكم كل من اللذيْن لا نفع فيهما على طريق الجمع، بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ إلى آخره، أي: كل مما لا نفع فيه من زَبَد الماء وزَبَد الفِلِزّ يذهب جُفاء، وكل من المُنتفَع بهما- وهما الماء المُنزَّل بقدر والفِلِزّ المُتَّخَذ منه الحلي والمتاع- يمكث في الأرض"[٢].

والمغزى من هذا الطباق: بشارة أهل الحق بأنهم الباقون كما يمكث ما ينفع الناس في الأرض، ونذارة حزب الباطل بأنهم الزائلون البائدون كما يذهب الزَّبد الذي لا بقاء له ولا قيمة، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾[٣].

الموضع الثاني عشر: الطباق بين المستجيب للحق وغير المستجيب.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[٤] [الرعد:١٨]

الطباق هنا طباق سَلْب بين فعلين، الأول منهما ماض مثبت ﴿ٱسْتَجَابُوا۟﴾ ، والثاني مضارع

(١) "بِكَسْرِ الْفَاءِ وَاللَّامِ وَتَشْدِيدِ الزَّاي: مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجَوَاهِرِ المَعْدنِية، كالذَّهب والفِضَّة والنُّحاس والرَّصاص، وَقِيلَ: هُوَ مَا يَنْفِيه الكِيُر مِنْهَا". النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ٣/ ٤٧٠.

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف، ٨/ ٤٩٥، ٤٩٦.

(٣) سورة الأنبياء، آيتا: ١٠٥، ١٠٦.

(٤) سورة الرعد، آية: ١٨.

منفي بلَمْ ﴿ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ ﴾.

ومن ضروب البلاغة في هذا الطباق ما يأتي:

أولًا: في العُدولِ إلى الموصولينَ وصِلَتَيْهما في قولِه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ ﴾ إيماءٌ إلى عليَّة مضمون الصلة، وإشارة إلى أنَّ الصِّلَتَيْنِ- الاستجابةَ، وعدَمَ الاستجابةِ- سببانِ لِما حصَلَ للفريقينِ(١).

ثانيًا: تقديم المسند ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾، على المسند إليه ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ دلَّ على الاعتناء بالمقدَّم والتنويه بشأنه، والتشويق إلى المؤخَّر؛ فـ ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ مُبتدأٌ، وخبرُه في قولِه: ﴿لِلَّذِينَ ﴾. و ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ ﴾ مُبتدأٌ، خبرُه ما بعدَه. وغايَرَ بين جُمْلتَيِ الابتداءِ؛ لِما يدلُّ عليه تقْديمُ الجارِّ والمَجْرورِ من الاعتِناءِ والاهتمامِ، أو مِن الاختصاص- على رأيِّ صاحب الكشاف-؛ أي: لهؤلاء الحُسْنَى لا لغيرهم(٢).

ثالثًا: ذِكْر الله عقاب من لم يَسْتَجِب بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓ﴾ يدل على أنه عذابٌ عظيم يودُّ الكافرُ الخلاصَ منه، ولو ثبت أن له أضعاف ما في الأرض لرَضِيَ أن يُقدِّمَه فداءً لنفسه، وفي ذلك يقول أبو السعود: "وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيطُ به البيانُ"(٣).

ويستفاد من هذا الطباق: أن الجنة- نسأل الله من فضله- هي غاية الحُسن والجمال والبهاء، وفيه- أيضًا- الترهيب من هول عذاب الآخرة وكمال فظاعته وشدَّته.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٢٢.

(٢) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٥٢٤. البحر المحيط: أبو حيان، ٥/ ٣٧٣. التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٢٢. أسلوب المقابلة في سورة الرعد: أحمد محمد الشرقاوي، صـ٦٣.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٥/ ١٥.

الموضع الثالث عشر: الطباق بين السِّر والعلانية، والحسنة والسيِّئة

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾(١).

في الآية الكريمة طباقا إيجاب، كل منهما بين اسمين، الأول بين: ﴿ سِرّٗا ﴾، و﴿وَعَلَانِيَةٗ﴾، والثاني بين: (الحسنة)، و﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾.

وفي موضع الشاهد في الآية الكريمة من أفانين البلاغة وبدائع الفصاحة ما يأتي:

أولًا: إيثار التعبير بصيغة الماضي ﴿وَأَنفَقُواْ﴾؛ لبيان تحقُّقِ هذا الأمر لهم، وتأكيده، وتمكُّنِه من أنفُسِهم؛ تنويهًا به؛ إذ إن "بَذْلَ الْمَالِ يَشُقُّ عَلَى النُّفُوسِ، فَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ مَا جَعَلَهُ ثَانِيًا لِلصَّلَاةِ"(٢).

ثانيًا: التعبير باسم الموصول {مَا} في قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ لبيان العموم؛ إذ يشمل عموم إنفاقهم من كلِّ ما أسبَغَ الله عليهم من النِّعم الظاهرةِ والباطنةِ(٣).

ثالثًا: إدخال {مِنْ} التبعيضية ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ يدل على وَصْفِهم بالاعتدال المطلوب شرعًا في الإنفاق، فلا هو بالإسراف، ولا هو بالتقتير(٤).

رابعًا: تقديم لفظ {السِّرّ} على لفظ {العلانية} يُومِئ إلى فضل صدقة السِّر على صدقة العلانية؛ "لأن في الإخفاء والستر احتياطًا للنفس وصونًا لها عن كل ما يؤدِّي إلى الرياء؛ فإن الإعلان قد

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٢.

(٢) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٢٩.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ١/ ٣٢.

(٤) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ١/ ٤٠. مفاتيح الغيب: الرازي، ٢/ ٢٧٦. التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١/ ٢٣٦.

يؤدِّي إلى الحمد والثناء، وقد يستمْرِئ المُعطِي ذلك، ويستطيبه، ثم يطلبه ويقصده، وعند ذلك يدخل الرياء، إذ يجد الثغرة في هذا الموضع فينفُذ إلى النفس منها"[١].

ويدل على هذا المعنَى قول الرسول ﷺ في الذين يُظِلّهم الله تعالى في ظِلِّه يوم القيامة: (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)[٢].

خامسًا: إيثار التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿وَيَدۡرَءُونَ﴾ دلَّ على الاستمرار في دَفْعِهم للسيئات بالحسنات.

يقول الطاهر ابن عاشور: "أُعِيدَ أُسْلُوبُ التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَى الصِّلَةِ وَهُوَ قَوْله: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ لِاقْتِضَاءِ الْمَقَامِ إِفَادَةَ التَّجَدُّدِ، إِيمَاءً إِلَى أَنَّ تَجَدُّدَ هَذَا الدرء مَا يُحْرَصُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ عُرْضَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ عَلَى تَفَاوُتٍ، فَوُصِفَ لَهُمْ دَوَاءُ ذَلِك بِأَن يدفعوا السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ".

سادسًا: دخول "أَلْ" الاستغراقية على لَفْظَي {الحسنة} و {السيئة}؛ الأمر الذي أفاد العموم، فيدخل فيه كل عمل صالح تُدْفَع به السيئة، وكذلك تشمل السيئة كل أفعال الشر، فأُولُو الألباب "يَدْفَعُونَ سَيِّئَةَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ...، أَوْ يَدْفَعُونَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْعَمَلَ السَّيِّئَ، أَوْ يَدْفَعُونَ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ، أَوِ الْمُنْكَرَ بِالْمَعْرُوفِ، أَوِ الظُّلْمَ بِالْعَفْوِ، أَوِ الذَّنْبَ بِالتَّوْبَةِ"[٣].

سابعًا: مما أكسَبَ الكلام رونقًا وعذوبة التعبير بلفظ الدَّرء؛ حيث شبَّه إزالة الحسنة لآثار السيئة بالدَّفع والطرد بجامع المحو في كلٍّ، واستعار الدَّرءَ للإزالة، واشتق منه {يدرؤون} بمعنى

(١) زهرة التفاسير: أبو زهرة، ٢/ ١٠٣٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، برقم (١٤٢٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١)، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ. واللفظ للبخاري.

(٣) فتح القدير: الشوكاني، ٣/ ٩٤.

"يُزيلُون" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية؛ الأمر الذي يُبرِز حرص أولي الألباب على المبادرة إلى دَفْع سيئاتهم بكثرة الأعمال الصالحة.

ثامنًا: تقديم الجار والمجرور ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ على المفعول ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ يدل على إظهار كمال العنايةِ بالحسنة(١).

والمغزَى من الطباق في الآية الكريمة: ترغيب المؤمنين في المسارعة إلى الخيرات، والمبادرة إلى فِعْل الطاعات والقُرُبات.

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٥/ ١٧.

المطلب الثالث: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في النصف الثاني من سورة الرعد.

وفيه سبعة مواضع، بيانها كالتالي:

الموضع الأول: الطباق بين القَطْع والوَصْل.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[1].

الطباق هنا طباق إيجاب بين فعلين مضارعيْن، هما: {يَقْطَعُوْنَ}، و ﴿ يُوصَلَ ﴾.

ومن لطائف التعبير بهذا الطباق:

أولًا: التعبير بالفعل المضارع {يَقْطَعُوْنَ}؛ الذي يدل على تجدُّد ودوام قَطْعِهم ما أَمَرَ الله بوصْلِه.

ثانيًا: التعبير بالاسم الموصول ﴿ مَا ﴾؛ لبيان العموم، فيشمل "كل قطيعةٍ لا يرضاها الله تعالى، كقَطْع الرَّحم، والإعراض عن موالاة المؤمنين، والتفرقة بين الأنبياء- عليهم السلام- والكتب في التصديق، وترك الجماعات المفروضة، وسائر ما فيه رفض خيرٍ، أو تعاطي شرٍّ؛ فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصلٍ وفصلٍ"[2].

ثانيًا: زيادةً في البيان والإيضاح عبَّر عن هذه الأمور المعنوية بلفظَيْ: "القطع"، "والوَصْل"، وهما مستعملان في الأمور المحسوسة؛ جريًا على سُنة القرآن في تصوير الأمر المعنوي في صورة الشيء المحسوس حتى يزيد المعنى تمكُّنًا في النفس؛ إذ إن الموصول إذا قُطِعَ ذهبت قُوَّته والانتفاع به، وما أمر الله به أن يُؤتَى إذا تُرِك زال أثرُه من رضوان الله وإثابته[3].

ثالثًا: للمبالغة في بيان المعنى وتوكيده وتقريره؛ شبَّه ترْكَهُم ما أمر الله به أنَ يُؤتَى بقطع ما هو

(١) سورة الرعد، آية: ٢٥.

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي، ١/ ٦٥.

(٣) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني، ١/ ٤٦٢-٤٦٥.

موصول متماسك، بجامع زوال الأثر في كلٍّ[١]، واستعار القطع للترك، واشتق منه {يَقْطَعُوْنَ} بمعنى: يتركون كل ما أَمَرَ الله بفِعْله، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

رابعًا: بناء ﴿يُوصَلَ﴾ لِمَا لم يُسمَّ فاعله، وهو أبلغُ من بنائه لِمَا سُمِّي فاعله؛ لأنَّه يَشمل ما أَمَر الله بأن يَصِلُوهُ هم، أو يصِلَه غيرُهم[٢].

ويستفاد من هذا الطباق: ترهيب من اتَّصف بأي صفة من هذه الصفات الثلاث المذمومة الواردة في الآية الكريمة.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٣].

الموضع الثاني: الطباق بين بَسْط الرِّزق وقَدْره، وبين الحياة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾[٤].

في الآية الكريمة طباقا إيجاب، الأول منهما بين فعليْن مضارعيْن، هما: ﴿ يَبۡسُطُ ﴾، و ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ ، والثاني بين اسميْن هما: ﴿ ٱلدُّنۡيَا ﴾، و﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾.

ومما تضمَّنَهُ موضع الطباق من البلاغة في الآية الكريمة:

أولاً: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ إما أن يفيد

(١) ينظر: المرجع السابق، ١/ ٤٦٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط: أبو حيان، ١/ ٢٧٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٦.

الاختصاص؛ "أي: الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره"(١)، وإما أن يفيد تقوية الحُكم وتأكيده، والْمَقْصُود أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ، وتلتفِتَ عقولُهم إِلَيْهِ(٢).

ثانيًا: التعبير بالمضارع في الفعلين: ﴿ يَبْسُطُ ﴾، و﴿وَيَقْدِرُ﴾ ؛ لإفادة تجدُّد بَسْطِ الرزق وقَدْرِه(٣).

ثالثًا: التعبير بالاسم الموصول {مَنْ}؛ لبيان العموم، سواءٌ في ذلك المؤمن والكافر، "فَقَدْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ كَانَ كَافِرًا، وَيُقَتِّرُهُ عَلَى مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا، وَلَا يَدُلُّ الْبَسْطُ عَلَى الْكَرَامَةِ، وَلَا الْقَبْضُ عَلَى الْإِهَانَةِ"(٤).

رابعًا: في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ تشبيه بليغ؛ حيث شبَّهَ- سبحانه- الحياة الدنيا، بالشيء الذي يُسْتَمْتَع به قليلًا ثم سرعان ما ينقضي ويزول، والغرض من هذا التشبيه: تقبيح الدنيا وتحقيرها؛ ومن ثَمَّ جعل المُشبَّه عين المُشبَّه به؛ الأمر الذي يقوّي المعنَى، ويجعله أشد تأثيرًا على النفس، وأعظم وَقْعًا في القلب.

قال أبو السعود: "والمعنَى أنهم رضُوا بحظِّ الدنيا معرِضين عن نعيم الآخرةِ، والحالُ أنَّ ما أشرُوا به في جَنْب ما أعرضوا عنه شيءٌ قليل النَّفع سريعُ النفاد"(٥).

الموضع الثالث: الطباق بين الضَّلال والهُدى.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

(١) الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٥٢٧.

(٢) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٥٢٧. فتوح الغيب: الطيبي، ٨/ ٥٠٨، ٥٠٩. عروس الأفراح: السبكي، ١/ ٢٣٩، ٢٤٠. التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٣٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ٢١/ ٢٧.

(٤) فتح القدير: الشوكاني، ٣/ ٩٦.

(٥) إرشاد العقل السليم، ٥/ ١٩.

وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾[١].

الطباق هنا طباق إيجاب بين فعلين مضارعيْن، هما: ﴿ يُضِلُّ ﴾، و{يَهْدِي}.

ومن بلاغة هذا الطباق:

أولًا: تقديم الضلال على الهُدَى؛ لأن سياق الآية الكريمة في الردِّ على مُقترحِي الآيات من كفار قريش، المُتعنِّتين في مطالبهم، السَّائلين مجموعةً من الآيات المادية والمعجزات الحسِّيَّة التي تدل على نبوة سيدنا محمد ﷺ.

ثانيًا: إيثار صيغة المضارع ﴿يَشَآءُ﴾ الذي أفاد معنى دوام المشيئة حسب استمرار مكابرتهم[٢]، وأفاد التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيٓ﴾؛ الدلالة على تكرار الهداية بشرطها[٣]، وإيثار التعبير بالفعل الماضي ﴿أَنَابَ﴾؛ "للإيماء إلى استدعاء الهداية لِسَابِقَة الإنابة"[٤].

قال أبو السعود: "﴿مَنْ أَنَابَ ﴾: أقبل إلى الحق وتأمَّلَ في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحةِ، وحقيقةُ الإنابة: الدخول في نَوْبَة الخير، وإيثارُ إيرادِها في الصلة على إيراد المشيئةِ كما في الصلة الأولى؛ للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها، والإشعارِ بما دعا إلى المشيئة الأولى من المكابرة ... وإيثارُ صيغةِ الماضي؛ للإيماء إلى استدعاء الهدايةِ لسابقة الإنابة، كما أن إيثارَ صيغةِ المضارعِ في الصلةِ الأولى؛ للدلالة على استمرار المشيئةِ حسب استمرار مكابرتهم"[٥].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٧.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٥/ ٢٠.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة، ٨/ ٣٩٤٤.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٥/ ٢٠.

(٥) المرجع السابق، ٥/ ١٩، ٢٠.

ويُستفَاد من هذا الطباق: أن الهداية لا تكون إلا لمن سَعَى في تحصيلها بصدقٍ ورغبةٍ والتجاءٍ إلى الله- سبحانه-، مع بذل الأسباب المطلوبة، والتَّنَزُّه عن الوقوع في موانعها، وأن الإنابة إلى الله ﷻ والرجوع إليه من أسباب الهداية، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1]، وفيه تشريف مَن وفَّقهم الله واختارهم للهداية إلى دينه وشرعه، وتعريضٌ بالكفار ومَن كان على صفاتهم، و "حثٌّ للكفرة على الإقلاع عما هم عليه من العُتُوِّ والعناد"[2].

قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: كيف طابق قولُهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ قولَه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾؟ قلت: هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم، وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أُوتيها رسول الله ﷺ لم يُؤْتَها نبيّ قبله، وكَفَى بالقرآن وحده آية وراء كل آية، فإذا جحدوها ولم يعتدُّوا بها وجعلوه كأنَّ آية لم تنزل عليه قط، كان موضعًا للتعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم!. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ممن كان على صفتكم من التصميم وشدّة الشكيمة في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أُنْزِلَت كل آية. ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾ مَنْ كان على خلاف صفتكم. ﴿ أَنَابَ ﴾: أقبل إلى الحق..."[3].

الموضع الرابع: الطباق بين المؤمن والكافر.

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم

(١) سورة الشورى، من الآية:١٣.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٥/ ٢٠.

(٣) الكشاف للزمخشري، ٢/ ٥٢٨.

بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[١].

في الآية طباق إيجاب بين فعلين ماضيين هما: ﴿ ءَامَنُوٓاْ ﴾، و﴿ كَفَرُواْ ﴾.

ومما تضمَّنَهُ موضع الطباق من البلاغة في الآية الكريمة:

أولاً: البدء بالاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾، إنكارًا لانتِفاءِ يأْسِ الَّذين آمنوا؛ أي: فهم حَقيقونَ بزَوالِ يأْسِهم من إيمان كفار قريش، وأنْ يعلَموا أنْ لو يشاء اللهُ لَهَدى النَّاسَ جميعًا- وذلك على أحدِ الاتِّجاهينِ في تفسيرِ هذه الجملة الكريمة-، وفي هذا الكلامِ زِيادةُ تَقريرٍ لِمضمونِ جُملةِ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾[٢]؛ "فإنه ليس ثَمَّ حُجَّةٌ ولا معجزةٌ أبلغَ ولا أنْجَعَ في النفوس والعقول من هذا القرآن، الذي لو أنزله الله على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعًا متصدِّعًا من خشية الله"[٣].

وفي ذلك يقول أبو السعود: "ثم إن مناطَ الإنكارِ ليس عدمَ علمهم بمضمون الشرطية فقط، بل مع عدم علمِهم بعدم تحققِ مقدَّمها، كأنَّه قيل: ألم يعلمُوا أن الله تعالى لو شاء هدايتَهم لهَدَاهُم، وأنه لم يشأْها؛ وذلك لأنهم كانوا يودُّون أن يُظهِر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الإيمان"[٤].

أما على الاتجاه الثاني في تفسير هذه الجملة الكريمة، فيرى أصحابُه أن قولَه: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾؛ أي: أفلم يُوقِنْ ويعلَمْ، وإنَّما اسْتُعْمِلَ اليأْسُ بمعنى العِلْمِ مجازًا؛ لِتضمُّنِه معناه؛ لأنَّ

(١) سورة الرعد، آية: ٣١.

(٢) سورة الرعد، من الآية: ٢٧. وينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٤٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٦١.

(٤) إرشاد العقل السليم، ٥/ ٢٢.

اليائسَ عنِ الشَّيءِ عالِمٌ بأنَّه لا يكونُ[١]، فَاسْتُعْمِلَ اليأسُ- الَّذِي هُوَ تَيَقُّنُ عَدَمِ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ بَعْدَ الْبَحْثِ- فِي مُطْلَقِ الْيَقِينِ، عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ بِعَلَاقَةِ اللُّزُومِ؛ لِتَضَمُّنِ مَعْنَى الْيَأْسِ مَعْنَى الْعِلْمِ[٢].

قالَ الفخر الرازي: "وتَقْرِيرُهُ أَنَّ العِلْمَ بِأَنَّ الشَّيْءَ لا يَكُونُ يُوجِبُ اليَأْسَ مِن كَوْنِهِ، والمُلازَمَةُ تُوجِبُ حُسْنَ المَجازِ، فَلِهَذا السَّبَبِ حَسُنَ إطْلاقُ لَفْظِ اليَأْسِ لِإرادَةِ العِلْمِ"[٣].

ثانيًا: التعبير بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ﴾ التي تدلُّ في أصلِها على الإخبارِ باستِمرارِ شيءٍ واقِعٍ؛ تَنبيهًا لهم بأنَّ ذلك عِقابٌ مِن اللهِ تعالى، ووعيدٌ بأنَّ ذلك دائمٌ فيهم حتَّى يأتِيَ وعْدُ اللهِ[٤]، ثم بيَّن أن العذاب الذي حلَّ بهم في الدنيا، أو ينتظرهم يوم القيامة بسبب كفرهم؛ ذمًّا لهم، وتسجيلًا على الكفار فِعْلَهم؛ ولذلك أبهَمَ ما صنعوه في الدنيا لتفخيمه وفظاعته، وقدَّمَهُ على الفاعل؛ للدلالة على أن العقاب الذي حلَّ بهم كان بسبب صنيعهم.

وفي الحكمة من الإبهام في قوله تعالى: ﴿بِمَا صَنَعُواْ﴾ يقول الآلوسي: "﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾؛ أي: بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه، وإبهامه إما لقصد تهويله أو استهجانه، وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من علِّية الصلة له، مع ما في صيغة الصُّنع من الإيذان برسوخهم في ذلك"[٥].

وذكر أبو السعود الحكمة من تقديم المجرور ﴿بِمَا صَنَعُواْ﴾ على الفاعل ﴿قَارِعَةٌ﴾

(١) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٢/ ٥٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٤٤.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٩/ ٤٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٤٦.

(٥) روح المعاني، ٧/ ١٥٠.

فيقول: "وتقديم المجرورِ على الفاعلِ لما مرَّ مرارًا من إرادة التفسير إثرَ الإبهام؛ لزيادة التقرير والإحكامِ، مع ما فيه من بيانِ أن مدارَ الإصابة من جهتهم"(١).

الموضع الخامس: الطباق بين الإضلال والهداية.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(٢).

في الآية طباق إيجاب بين فعل مضارع ﴿ يُضْلِلِ ﴾، واسم ﴿ هَادٍ ﴾.

ومن ضروب البلاغة في موضع الطباق ما يأتي:

أولاً: {مَنْ} في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ أتت بمعنى الشرطية والجزاء؛ فأفادت عموم الإضلال لكل من قدَّرَ اللهُ دوامَ ضلاله.

ثانيًا: في التعبير بالفعل المضارع ﴿ يُضْلِلِ ﴾ إشارة إلى استمرار ضلال "الَّذِينَ لَمْ يُقَدِّرِ اللهُ هَدْيَهُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ بِمَا نَشَأَ عَنْ خَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي هَيَّأَتْ لَهُمُ الْبَقَاءَ فِي الضَّلَالِ"(٣).

ثالثًا: التعبير بالنكرة في سياق النفي ﴿مِنْ هَادٍ﴾ أفاد نَفْي جِنسِ الهادي، والعموم الشامل لكل من حَرَمَهُ الله هداية التوفيق؛ فيكون المعنى: فما له من أيِّ أحدٍ يَقْدِر على هدايته.

رابعًا: نفي الهادي من قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ كناية عن نفي حصول الاهتداء.

---

(١) إرشاد العقل السليم، ٥/ ٢٣.

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٣.

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٤/ ١٥١.

يقول الطاهر ابن عاشور: "وَأُرِيدَ مِنْ نَفْيِ الْهَادِي مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ نَفْيُ حُصُولِ الِاهْتِدَاءِ، فَكُنِّيَ عَنْ عَدَمِ حُصُولِ الْهُدَى بِانْتِفَاءِ الْهَادِي؛ لِأَنَّ عَدَمَ الِاهْتِدَاءِ يَجْعَلُ هَادِيَهُمْ كَالْمَنْفِيِّ"(١).

ونظير تلك الآية قوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾(٣).

الموضع السادس: الطباق بين الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾(٤).

في الآية طباق إيجاب بين اسمَيْن هما: ﴿ ٱلدُّنْيَا ﴾، و﴿ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

ويُلاحَظ في الآية الكريمة من بلاغة الطباق ما يأتي:

أولًا: تقديم الجار والمجرور ﴿ لَّهُمْ ﴾ على المبتدأ؛ لإفادة التخصيص؛ أي: "لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ﴿عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْإِسَارِ وَالْآفَاتِ الَّتِي يُصِيبُهُمُ اللهُ بِهَا"(٥). وتنكير كلمة ﴿عَذَابٌ ﴾؛ لتهويل ذلك العذاب، وتعظيم مقداره، وتكثير أنواعه(٦)، ودخول اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ﴾ يفيد التوكيد.

(١) المرجع السابق، ٢٤/ ١٤.

(٢) سورة الأعراف، من آية: ١٨٦.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٤) سورة الرعد، آية: ٣٤.

(٥) جامع البيان: الطبري، ١٦/ ٤٦٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٥٤.

ثانيًا: في الآية من البلاغة أيضًا: وضع الظاهر ﴿وَلَعَذَابُ﴾ موضع المضمر، ولعل السِّرَّ في ذلك هو تعظيم أمر عذاب الآخرة، وتفخيم شأنه؛ أي: "وَلَتَعْذِيبُ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ تَعْذِيبِهِ إِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَشَقُّ"(١).

قال الفخر الرازي: "وإنَّما قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّ﴾؛ لأنَّه أزيَدُ؛ إن شئتَ بسبَبِ القوَّةِ والشِّدَّةِ، وإن شئتَ بسبَبِ كثرةِ الأنواعِ، وإن شئتَ بسبَبِ أنَّه لا يختَلِطُ بها شيءٌ مِن مُوجِباتِ الرَّاحةِ، وإنْ شِئتَ بسبَبِ الدَّوامِ، وعدمِ الانقطاعِ"(٢).

والطباق في الآية الكريمة يومىء إِلَى وعيد المشركين، وتَسلية النَّبيِّ ﷺ ومن معه من المُؤمنينَ.

الموضع السابع: الطباق بين الجنة والنار، وبين المُتَّقين والكافرين.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾(٣).

في الآية نوعا طباق، الأول: طباق إيجاب بين اسميْن هما: ﴿ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ، و﴿ ٱلنَّارُ ﴾، والثاني: طباق خفي بين الفعل الماضي ﴿ٱتَّقَواْ﴾، والاسم ﴿ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾، ووجه الخفاء أن أول مراتب التقوى: الإيمان، والإيمان ضد الكفر.

(١) جامع البيان: الطبري، ١٦/ ٤٦٨.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٩/ ٤٦.

(٣) سورة الرعد، آية: ٣٥.

ومن بلاغة هذا الطباق:

أولًا: التعبير بالمتقين عن المؤمنين الذين امتثلوا أوامر ربهم واجتنبوا نواهيه في قوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ تعليل وتنبيه على أن إيمانهم وعملهم الصالح من باب التقوى، الذي هي عبارة عن فعل المأمورات، وترك المنهيَّات.

ثانيًا: ذكر الاسم الموصول وصلته في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾؛ للإشارة إلى أن الصلة، وهي التقوى علة لاستحقاقهم للجنات، والتعبير بلفظ ﴿ عُقْبَى ﴾ في جزاء المؤمنين والكافرين؛ "للإشارة إلى أنه جزاءٌ أعقبَ عملًا إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ"[١].

وقد جاء لفظ ﴿ عُقْبَى ﴾ مسندًا إلى ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾؛ لبيان أن النار مآل الكافرين ومُنتهَى أمرهم؛ بسبب كفرهم، وإصرارهم عليه.

ثالثًا: في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ إيجاز بالحذف؛ أي: وظلُّها دائم، حذف منه الخبر بدليل السياق[٢]، "وَدَوَامُ الظِّلِّ كِنَايَةٌ عَنِ الْتِفَافِ الْأَشْجَارِ بِحَيْثُ لَا فَرَاغَ بَيْنَهَا تَنْفُذُ مِنْهُ الشَّمْسُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾[٣]، وَذَلِكَ مِنْ مَحَامِدِ الْجَنَّاتِ وَمَلَاذِّهَا"[٤].

ويُستَفَاد من الطباق بين العُقبَيْن في الآية الكريمة: إطماع المؤمنين المتقين، وإقناط وتهديد الكافرين.

(١) زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة، ٨/ ٣٩٦١.

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان: الهرري، ١٤/ ٣١٤. التفسير المنير: الزحيلي، ١٣/ ١٧٩.

(٣) سورة النبأ، آية: ١٦.

(٤) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ١٣/ ١٥٥.

الموضع الثامن: الطباق بين المَحْو والإثبات.

قال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[١].

الطباق هنا طباق إيجاب بين فعلين مضارعيْن، هما: ﴿ يَمْحُواْ ﴾، و{يُثْبِتُ}

ومن أفانين البلاغة في موضع الطباق في الآية الكريمة:

أولاً: التعبير بقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ **على صيغة المضارع؛ وذلك لما يدلُّ عليه من التجدُّد؛ حيث إن المحو والإثبات يتجدَّدان، وهما مستمران، وهذا يلائمه التعبير بالفعل المضارع الذي آثره النظم الكريم.**

ثانيًا: التعبير بالاسم الموصول﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يَشَآءُ﴾ لإفادة العموم.

وللمُفسِّرين في معنى هذه الآية كلام طويل، لخَّصه الإمام الشوكاني تلخيصًا حسنًا فقال: " ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾؛ أَيْ: يَمْحُو مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ مِنْهُ... وَظَاهِرُ النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ الْعُمُومُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا فِي الْكِتَابِ فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ مَحْوَهُ مِنْ شَقَاوَةٍ أَوْ سَعَادَةٍ أَوْ رِزْقٍ أَوْ عُمُرٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُبْدِلُ هَذَا بِهَذَا، وَيَجْعَلُ هَذَا مَكَانَ هذا، ولا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ"[٢].

ثالثًا: في موضع الطباق من الآية الكريمة وجه آخر قائم على الحذف، وتقدير الكلام: يمحوا الله ما يشاء، ويُثْبِت ما يشاء، فحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول؛ لدلالة الأول عليه، وهذا الضرب من الحذف المُقابليّ هو ما يُعرَف عند البلاغيين بـ "الاحتباك"، وهو: "أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي، وَمِنَ الثَّانِي مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الْأَوَّلِ"[٣].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٩.

(٢) فتح القدير، ٣/ ١٠٥.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ٣/ ٢٠٤. وينظر: البرهان للزركشي، ٣/ ١٢٩. معترك الأقران للسيوطي، ١/ ٢٤٢.

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،،

ففي نهاية هذا البحث- الذي أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم- أُسجِّل أهم النتائج التي توصلتُ إليها، ومنها:

أولاً: تميُّز سورة الرَّعد بهذا الأسلوب البياني البديع تميُّزًا واضحًا؛ حيث بلغت الآيات المشتملة على الطباق إحدى وعشرين آية؛ أي: قرابة نصف السورة؛ إذ إن عدد آيات سورة الرعد- على العدِّ الكوفي- (٤٣) آية، وبعدِّ المواضع التي اشتملت على أكثر من طباق في آية واحدة يبلغ عدد الألفاظ التي طُوبِق بينها في السورة الكريمة تسعة وعشرين طباقًا.

ثانيًا: لما كان المقصود الرئيس لسورة الرعد إقامة الأدلة على وجود الله، وإثبات وحدانيته، وكمال قدرته ﷻ؛ جاءت أكثر المطابقات الواردة في السورة الكريمة تتعلق بقضية التوحيد، وكَثُر أسلوب الطباق بين الأدلة الكونية، والحق والباطل، والضلال والهُدى، والإيمان والكفر، والجنة والنار...إلخ؛ الأمر الذي يؤكد أن الطباق القرآني معجز في اختيار لفظه، وفي موقعه مِن نَظْمِهِ، وفي تناسبه مع السياق الوارد فيه.

ثالثًا: أكثر أقسام الطباق ورودًا في السورة الكريمة: طباق الإيجاب بين اسميْن. وأقلها: الطباق الخفي.

رابعًا: اشتمال مواضع الطباق في الآيات الكريمة على أكثر من صورة بلاغية، وهو ما يُبرز جمال القرآن وجلاله، وثراء معانيه.

خامسًا: لا تزال كتب التفسير بحاجة إلى من يمدُّ يده إليها ليلتقط منها درر الفوائد، ولآلئ اللطائف.

المقترحـــات:

في ختام هذا البحث أقترح ما يلي:

١- دراسة أسلوب الطباق وغيره من أنواع البديع، في باقي سور القرآن الكريم.

٢- تـدريس مقرر مختص بـالبلاغـة القرآنيـة على طلاب التفســير وعلوم القرآن في مرحلـة الدراسات العليا.

هذا، والحمد لله أولًا وآخرًا،

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيًا: الكتب المطبوعة

أ- كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت: (٩١١هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٢- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث- القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤- التحرير والتنوير؛ المُسمَّى "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": الطاهر ابن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

٥- تفسير ابن عطية؛ المُسمَّى: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز": أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦- تفسير أبي السعود؛ المُسمَّى: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم": أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون).

٧- تفسير الآلوسي؛ المُسمَّى: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني": شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨- تفسير البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٩- تفسير البيضاوي؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٠- تفسير الثعلبي؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١١- تفسير الزمخشري؛ المُسمَّى "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل": الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٢- تفسير الطبري؛ المُسمَّى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٤- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، (بدون).

١٥- تفسير الماوردي؛ المسمى "النكت والعيون": أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة أو تاريخ.

١٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن م صطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة م صر- القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٨- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠١م.

١٩- تفسير سورة الرعد: محمد صالح علي مصطفى، دار النفائس- السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢١- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي الم صري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار صادر- بيروت.

٢٢- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي: ع صام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (المتوفى: ١١٩٥هـ) ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٣- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣ هـ)، تحقيق وتعليق/ سعيد الأفغاني، دار الرسالة، (بدون).

٢٤- الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق/ عبد العال سالم مكرم، دار الشروق- بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

٢٥- الدر المنثور في في التفسير بالماثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت: (٩١١هـ)، تحقيق/ مركز هجر للبحوث، دار هجر- القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٢٦- درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠ هـ)، تحقيق، محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القريح السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٧- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٢٨- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن م صطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (بدون طبعة أو تاريخ).

٢٩- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٣٠- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا- بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣١- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار

ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٢- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٣٣- كشف المعاني فى المتشابه من المثاني: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، تحقيق/ عبد الجواد خلف، دار الوفاء- المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٤- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، تحقيق/ محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١هـ.

٣٥- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٦- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٨- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير: فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٩- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق/ محمد سيد كيلاني،(بدون ناشر ولا تاريخ).

٤٠- المقابلة في سورة الرعد: أحمد محمد الشرقاوي، بحث منشور بمجلة "تدبر"، العدد السادس، السنة الثالثة رجب ١٤٤٠هـ الموافق مارس ٢٠١٩م.

٤١- الناسخ والمنسوخ: أبو جعفر النَّحاس (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق/ محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح- الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، قدم له: أ. د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، تحقيق/ عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ (بدون طبعة).

ب- كتب الحديث الشريف

١- صحيح البخاري؛ المسمى "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه": محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢- صحيح مسلم؛ المسمى: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ": مسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (بدون طبعة أو تاريخ).

ج- كتب البلاغة، وما يتعلق بها:

١- أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ)، تعليق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢- الإعجاز في نظم الصورة البديعية في القرآن الكريم: حجاج محمد عطية، رسالة دكتوراه- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٣- أنوار الربيع في أنواع البديع: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد مع صوم، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (المتوفى: ١١١٩هـ)، (بدون).

٤- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم- بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.

٥- البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٦- البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تحقيق/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٨- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، المكتبة العصرية- بيروت.

٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط٧.

١١- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة- القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٢- الصناعتين: أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.

١٣- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم(المتوفى: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٤- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٥- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تعليق/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

د- كتب المعاجم اللغوية:

١- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق/ مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بدون).

٥- لســـان العرب: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٦- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

قائمة بمحتويات البحث

المقدمـــة ٤٠٣
المبحث الأول: تعريف الطباق، وذكر أقسامه، والفرق بينه وبين المقابلة ٤٠٧
المطلب الأول: تعريف الطباق. ٤٠٧
المطلب الثاني: الفرق بينه وبين المقابلة ٤٠٧
المطلب الثالث: أقسام الطباق. ٤١٠
المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في سورة الرعد ٤١٢
المطلب الأول: التعريف بسورة الرَّعد ٤١٢
المطلب الثاني: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في النصف الأول من سورة الرعد.
..... ٤١٦
الموضع الأول: الطباق بين اللَّيل، والنَّهار. ٤١٦
الموضع الثاني: الطباق بين المُجْتَمِع، والمُتفرِّق ٤١٩
الموضع الثالث: الطباق بين العقوبة، والعافية ٤٢٠
الموضع الرابع: الطباق بين الغَيْضِ، والزِّيادة ٤٢١
الموضع الخامس: الطباق بين الغيب، والشهادة ٤٢٣
الموضع السادس: الطباق بين السِّر، والجهر. ٤٢٥
الموضع السابع: الطباق بين الأمام والخلف، وبين نفي التغيير وإيجابه ٤٢٥
الموضع الثامن: الطباق بين بلوغ الشيء وعدمه. ٤٢٦
الموضع التاسع: الطباق بين الطَّوع والكَرْه، والغُدُوِّ والآصال ٤٢٩

الموضع العاشر: الطباق بين السنوات والأرض، والنفع والضر، والمؤمن والكافر، والإيمان والكفر ٤٣٠
الموضع الحادي عشر: الطباق بين الحق والباطل..... ٤٣٣
الموضع الثاني عشر: الطباق بين المستجيب للحق وغير المستجيب. ٤٣٧
الموضع الثالث عشر: الطباق بين السِّر والعلانية، والحسنة والسيِّئة..... ٤٣٩
المطلب الثالث: الدراسة التحليلية لأسلوب الطباق في النصف الثاني من سورة الرعد. ٤٤٢
الموضع الأول: الطباق بين القَطْع والوَصْل. ٤٤٢
الموضع الثاني: الطباق بين بَسْط الرِّزق وقَدْرِه، وبين الحياة الدنيا والآخرة. . ٤٤٣
الموضع الثالث: الطباق بين الضَّلال والهُدى. ٤٤٤
الموضع الرابع: الطباق بين المؤمن والكافر. ٤٤٦
الموضع الخامس: الطباق بين الإضلال والهداية. ٤٤٩
الموضع السادس: الطباق بين الدنيا والآخرة. ٤٥٠
الموضع السابع: الطباق بين الجنة والنار، وبين المُتَّقين والكافرين. ٤٥١
الموضع الثامن: الطباق بين المَحْو والإثبات. ٤٥٣
الخاتمـــة ٤٥٤
ثبت المصادر والمراجع ٤٥٦
قائمة بمحتويات البحث ٤٦٥